

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْمَعٌ وَرَتَّبٌ

مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فِضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ
فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

شأن الكلمة في الإسلام

فَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَثَلَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَالْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ، فَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ كَالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَالْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ كَالشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَثْبُتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

قَالَ الْعَلَمَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (١): «يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾: وَهِيَ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفُرُوعُهَا ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾: وَهِيَ النَّخْلَةُ، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾: فِي الْأَرْضِ، ﴿ وَفَرْعُهَا ﴾: مُتَشَرِّبٌ ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾، وَهِيَ كَثِيرَةُ النَّفْعِ دَائِمًا، ﴿ تُؤْتِي أَكْلَهَا ﴾ أَي: ثَمَرَتَهَا، ﴿ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.

(١) «تفسير السعدي» (ص: ٤٩٢-٤٩٣).

فَكَذَلِكَ شَجَرَةُ الْإِيمَانِ ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ عِلْمًا وَاعْتِقَادًا،
﴿وَفَرْعُهَا﴾ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ، وَالْآدَابِ
الْحَسَنَةِ ﴿فِي السَّكَمَاءِ﴾ دَائِمًا، يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي
تُخْرِجُهَا شَجَرَةُ الْإِيمَانِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥): لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ؛ فَإِنَّ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ تَقْرِيبًا لِلْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ مِنَ
الْأَمْثَالِ الْمَحْسُوسَةِ، وَيَتَبَيَّنُ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ غَايَةَ الْبَيَانِ، وَيَتَّضِحُ غَايَةُ
الْوُضُوحِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ - فَلِلَّهِ أَتَمُّ الْحَمْدِ وَأَكْمَلُهُ وَأَعَمُّهُ -.

فَهَذِهِ صِفَةٌ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَصِفَةٌ ثَبَاتَهَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ.

ثُمَّ ذَكَرَ ضِدَّهَا؛ وَهِيَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَفُرُوعُهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: خَبِيثَةُ الْمَأْكَلِ وَالْمَطْعَمِ، وَهِيَ: شَجَرَةُ الْحَنْظَلِ وَنَحْوُهَا،
﴿اجْتَنَّتْ﴾: هَذِهِ الشَّجَرَةُ، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢٦): أَيُّ: مِنْ ثُبُوتِ،
فَلَا عُرُوقَ تُمْسِكُهَا، وَلَا ثَمَرَةَ صَالِحَةَ تُتَبَّجُّهَا، بَلْ إِنْ وُجِدَ فِيهَا ثَمَرَةٌ فَهِيَ ثَمَرَةٌ
خَبِيثَةٌ، كَذَلِكَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي لَيْسَ لَهَا ثُبُوتٌ نَافِعٌ فِي الْقَلْبِ، وَلَا تُثْمِرُ إِلَّا
كُلَّ قَوْلٍ خَبِيثٍ، وَعَمَلٍ خَبِيثٍ يَسْتَضِرُّ بِهِ صَاحِبُهُ وَلَا يَنْتَفِعُ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ
عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧): يُخْبِرُ - تَعَالَى - أَنَّهُ يُثَبِّتُ عِبَادَهُ
الْمُؤْمِنِينَ، أَيُّ: الَّذِينَ قَامُوا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ التَّامِّ الَّذِي يَسْتَلْزِمُ

أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ وَيُثْمِرُهَا، فَيُثْبِتُهُمُ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ بِالْهُدَايَةِ إِلَى الْيَقِينِ، وَعِنْدَ عُرُوضِ الشَّهَوَاتِ بِالْإِرَادَةِ الْجَاذِمَةِ عَلَى تَقْدِيمِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ عَلَى هَوَى النَّفْسِ وَمُرَادِهَا.

وَفِي الْآخِرَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالثَّبَاتِ عَلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْخَاتِمَةِ الْحَسَنَةِ، وَفِي الْقَبْرِ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَائِكِينَ بِالْجَوَابِ الصَّحِيحِ؛ إِذَا قِيلَ لِلْمَيِّتِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ هَدَاهُمْ لِلْجَوَابِ الصَّحِيحِ؛ بِأَنْ يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَأَزْكَى السَّلَامِ -.

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: عَنِ الصَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣].

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ قَدْرَ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَقَدْرَ الْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَوْ يَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٧٨)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٧٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٨٨)، مِنْ طَرِيقِ: عَيْسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَى: «يَتَبَيَّنُ» أَي: يُفَكَّرُ أَنَّهَا خَيْرٌ أَمْ لَا» (١).

وَقَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ: «مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا» أَي: لَا يَتَطَلَّبُ مَعْنَاهَا، أَي: لَا يُثْبِتُهَا بِفِكْرِهِ، وَلَا يَتَأَمَّلُهَا حَتَّى يَثْبُتَ فِيهَا، فَلَا يَقُولُهَا إِلَّا إِنْ ظَهَرَتِ الْمَصْلَحَةُ فِي الْقَوْلِ» (٢).

وَعَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ - تَعَالَى -، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ» (٣). أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ»، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانٌ شَافٍ بِشَأْنِ الْكَلِمَةِ، وَأَيْنَ تَبْلُغُ بِصَاحِبِهَا مِنْ دَرَجَاتِ الرِّضْوَانِ فِي الْجَنَانِ إِنْ كَانَتْ طَيِّبَةً، وَكَيْفَ تَهْوِي بِقَائِلِهَا دَرَكَاتٍ فِي الشَّقَاءِ وَالنَّارِ إِنْ كَانَتْ خَبِيثَةً.



(١) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٨ / ١١٧، طِ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ - بَيْرُوتَ).

(٢) «فَتْحُ الْبَارِي» (١١ / ٣١٠، طِ الْمَعْرِفَةِ).

(٣) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» (٥٦ - كِتَابُ الْكَلَامِ، رَقْم ٥، ت عَبْدُ الْبَاقِي)، وَالتِّرْمِذِيُّ

(٢٣١٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٩٦٩)، وَأَحْمَدُ (١٥٨٥٢)، مِنْ حَدِيثِ: بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٨٨٨).

أَلْفَاظُ الْعِبَادِ مُحْصَاةٌ عَلَيْهِمْ

لَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَنَّ أَلْفَاظَ الْعِبَادِ مُحْصَاةٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَبْدُ مِنْهَا عَنِ الْإِحْصَاءِ لَفْظٌ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨) ﴿ق: ١٨﴾ أَي: مَا يَلْفِظُ الْعَبْدُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا وَلَدَيْهِ مَلَكٌ يَرُقُبُهُ، ﴿عَتِيدٌ﴾ أَي: حَاضِرٌ مَعَهُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿﴿مَا يَلْفِظُ﴾ أَي: ابْنُ آدَمَ ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ أَي: مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨) أَي: إِلَّا وَلَهَا مَنْ يَرُقُبُهَا مُعَدٌّ لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا، لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) ﴿كِرَامًا كُنِينًا﴾ (١١) يِعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) ﴿[الانفطار: ١٠-١٢].

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ عَلَى قَوْلَيْنِ:

«هَلْ يَكْتُبُ الْمَلِكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ؟» وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ (١).

«أَمْ يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ؟» كَمَا هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢١ / ٤٢٥، ط هجر)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٣٥٤٧٧، ط الرُّشْدِ)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»

(٢ / ٣٧٣٠)، وَالضَّيَاءُ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (١٢ / ٢٨٠، رَقْمُ ٣٠٧)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْأَوَّلِ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨:ق] (١).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمَدَارِجِ» (٢): «وَقَدْ اِخْتَلَفَ السَّلَفُ؛ هَلْ فِي حَقِّهِ كَلَامٌ مُبَاحٌ مُتَسَاوِي الطَّرْفَيْنِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا يَخْلُو كُلُّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي حَقِّهِ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ.

وَالْتَحْقِيقُ؛ أَنَّ حَرَكَةَ اللِّسَانِ بِالْكَلامِ لَا تَكُونُ مُتَسَاوِيَةً الطَّرْفَيْنِ، بَلْ إِمَّا رَاجِحَةٌ، وَإِمَّا مَرْجُوحَةٌ؛ لِأَنَّ لِلِّسَانِ شَأْنًا لَيْسَ لِسَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَإِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ اللِّسَانَ -أَي: تَذُلُّ لَهُ وَتَخْضَعُ-، تَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا، وَأَكْثَرُ مَا يَكْبُ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ بِحَصَائِدِ أَلْسِنَتِهِمْ.

وَكُلُّ مَا يَتَلَفَّظُ بِهِ اللِّسَانُ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ لَا، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ الرَّاجِحُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ الْمَرْجُوحُ، وَهَذَا بِخِلَافِ حَرَكَاتِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ؛ فَإِنَّ صَاحِبَهَا يَنْتَفِعُ بِتَحْرِيكِهَا فِي الْمُبَاحِ الْمُسْتَوِيِّ الطَّرْفَيْنِ؛ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّاحَةِ وَالْمَنْفَعَةِ، فَأَبِيحَ لَهُ اسْتِعْمَالُهَا فِيمَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لَهُ، وَلَا مَضَرَّةَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا حَرَكَةُ اللِّسَانِ بِمَا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا مَضَرَّةً؛ فَتَأَمَّلْهُ».

(١) «تَفْسِيرُهُ» (٧ / ٣٩٨، دَارُ طَبِيبَةٍ).

(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (١ / ١٣٤ - ١٣٦، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا يَتَكَلَّمَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ خَيْرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَمَتَى شَكَّ فِي ظُهُورِ الْمَصْلَحَةِ فَلَا يَتَكَلَّمُ.



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠١٨) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ (٤٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه.

اللِّسَانُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ

«وَاللِّسَانُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَلَطَائِفِ صُنْعِهِ الْغَرِيبَةِ؛ فَإِنَّهُ صَغِيرٌ جِرْمُهُ، عَظِيمٌ طَاعَتُهُ وَجِرْمُهُ؛ إِذْ لَا يَسْتَبِينُ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ إِلَّا بِشَهَادَةِ اللِّسَانِ، وَهَمَّا غَايَةُ الطَّاعَةِ وَالْعِصْيَانِ، ثُمَّ إِنَّهُ مَا مِنْ مَوْجُودٍ أَوْ مَعْدُومٍ؛ خَالِقٍ أَوْ مَخْلُوقٍ، مُتَخَيَّلٍ أَوْ مَعْلُومٍ، مَظْنُونٍ أَوْ مَوْهُومٍ إِلَّا وَاللِّسَانُ يَتَنَاوَلُهُ، وَيَتَعَرَّضُ لَهُ بِإِثْبَاتٍ أَوْ نَفْيٍ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْعِلْمُ يُعْرَبُ عَنْهُ اللِّسَانُ، إِمَّا بِحَقِّ أَوْ بَاطِلٍ، وَلَا شَيْءٍ إِلَّا وَالْعِلْمُ مُتَنَاوَلٌ لَهُ، وَهَذِهِ خَاصِيَّةٌ لَا تَوْجَدُ فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ لَا تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَلْوَانِ وَالصُّورِ، وَالْأَذَانَ لَا تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَصْوَاتِ، وَالْيَدَ لَا تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَجْسَامِ، وَكَذَا سَائِرُ الْأَعْضَاءِ.

وَاللِّسَانُ رَحْبُ الْمِيدَانِ، لَيْسَ لَهُ مَرَدٌّ، وَلَا لِمَجَالِهِ مُنْتَهَى وَحَدٌّ، لَهُ فِي الْخَيْرِ مَجَالٌ رَحْبٌ، وَلَهُ فِي الشَّرِّ ذَيْلٌ سَحْبٌ، فَمَنْ أَطْلَقَ عَذْبَةَ اللِّسَانِ، وَالْهَمَّهُ مَرْخَى الْعَنَانِ؛ سَلَكَ بِهِ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ مِيدَانٍ، وَسَاقَهُ إِلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ، إِلَى أَنْ يَضْطَرَّهُ إِلَى الْبَوَارِ، وَلَا يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّتِّهِمْ، وَلَا يَنْجُو مِنْ شَرِّ اللِّسَانِ إِلَّا مَنْ قَيَّدَهُ بِلِجَامِ الشَّرِّعِ، فَلَا يُطْلِقُهُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَكْفُهُ عَنْ كُلِّ مَا يَخْشَى غَائِلَتَهُ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ.

وَعِلْمٌ مَا يُحْمَدُ فِيهِ إِطْلَاقُ اللِّسَانِ أَوْ يَذْمُ غَامِضٌ عَزِيزٌ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ
عَلَى مَنْ عَرَفَهُ ثَقُلَ عَسِيرٌ، وَأَعْصَى الْأَعْضَاءَ عَلَى الْإِنْسَانِ اللِّسَانُ، وَقَدْ تَسَاهَلَ
الْخَلْقُ فِي الْإِحْتِرَازِ عَنِ آفَاتِهِ وَغَوَائِلِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ مَصَائِدِهِ وَحَبَائِلِهِ، وَإِنَّهُ أَعْظَمُ
آلَةِ الشَّيْطَانِ فِي اسْتِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ^(١).

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَشْرَةِ بِلْسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَشْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأَ عَلَى مَهْلٍ

والكلامُ تَرْجَمَانُ يُعْبَرُ عَنْ مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ، وَيُخْبِرُ بِمَكْنُونَاتِ السَّرَائِرِ،
لَا يُمَكِّنُ اسْتِرْجَاعُ بَوَادِرِهِ، وَلَا يُقَدِّرُ عَلَى رَدِّ شَوَارِدِهِ، فَحَقُّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ
مَنْ زَلَّهِ بِالْإِمْسَاكِ عَنْهُ أَوْ بِالْإِقْلَالِ مِنْهُ^(٢)، فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو فِيهِ الرِّبْحَ
وَالزِّيَادَةَ فِي دِينِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ نَظَرَ؛ هَلْ فِيهَا رِبْحٌ وَفَائِدَةٌ أَوْ لَا؟

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا رِبْحٌ أَمْسَكَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا رِبْحٌ نَظَرَ؛ هَلْ تَفُوتُهُ بِهَا
كَلِمَةٌ هِيَ أَرْبَحُ مِنْهَا؟ فَلَا يُضَيِّعُهَا بِهَذِهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ
فَاسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِحَرَكَةِ اللِّسَانِ؛ فَإِنَّهُ يُطْلِعُكَ عَلَى مَا فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ^(٣).



(١) «إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ» (٣/ ١٠٨، ط المَعْرِفَةِ).

(٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» (ص ٢٧٥).

(٣) «الْجَوَابُ الْكَافِي» (ص ١٥٨، دَارُ الْمَعْرِفَةِ - الْمَغْرِبُ).

حِفْظُ اللِّسَانِ

يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ يَنْتَقِي الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ [ق: ١٧-١٨].

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَذْكَيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِرِقَابَةِ اللَّهِ ﷻ الَّتِي لَا تَتْرُكُ الْإِنْسَانَ لِحِظَةً مِنَ اللَّحِظَاتِ، وَلَا تَغْفُلُ عَنْهُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ حَتَّىٰ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ أَقْوَالٍ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ مِنْ كَلِمَاتٍ؛ فَكُلُّ قَوْلٍ مَحْسُوبٌ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ مَرْصُودَةٌ فِي سَجَلِ أَعْمَالِهِ، يُسَجَّلُهُ الْمَلَكَانِ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْكَشِفُ الْحِسَابُ وَيَكُونُ الْجَزَاءُ.

وَعَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»^(١).
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَغَيْرُهُ.

(١) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ.

وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَقَمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ أَحَدُ رُوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ - يَقُولُ: «كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعْنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ!».

فَكَانَ يَمْتَنِعُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ؛ حَتَّى لَا يُسَجَّلَ عَلَيْهِ قَوْلٌ، أَوْ تُرْصَدَ عَلَيْهِ كَلِمَةٌ مِنَ اللَّغْوِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ.

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحْفُظُ وَالِإِحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَالزُّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَضَعُبُ عَلَيْهِ التَّحْفُظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ؛ حَتَّى يُرَى الرَّجُلُ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالذِّينِ، وَالزُّهْدِ، وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَنْزِلُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ!! فَإِنَّ أَيْسَرَ حَرَكَاتِ الْجَوَارِحِ حَرَكَةَ اللِّسَانِ، وَهِيَ أَضْرُّهَا عَلَى الْعَبْدِ.

وَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون: ١-٣].

وَمِنْ هُنَا؛ كَانَ حَرِيًّا بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَضْبِطَ لِسَانَهُ، وَيَسْأَلِ نَفْسَهُ - قَبْلَ أَنْ يَتَحَدَّثَ - عَنْ جَدْوَى الْحَدِيثِ وَفَائِدَتِهِ، وَلَمَّا كَانَتْ آفَاتُ اللِّسَانِ كَثِيرَةً، وَلَهَا فِي الْقَلْبِ حَلَاوَةٌ، وَلَهَا بَوَاعِثُ مِنَ الطَّبَعِ، فَلَا نَجَاةَ مِنْ خَطَرِهَا إِلَّا بِالصَّمْتِ؛ سَأَلَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «مَا النَّجَاةُ؟».

قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(١).
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا تَكَلَّمَ وَإِلَّا سَكَتَ، وَالسُّكُوتُ فِي هَذِهِ الْحَالِ عِبَادَةٌ
يُوجِرُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ
لِيَصْمُتْ»^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَاللِّسَانُ هُوَ تَرْجَمَانُ الْقَلْبِ، وَقَدْ كَلَّفَنَا اللَّهُ ﷻ أَنْ نَحَافِظَ عَلَى اسْتِقَامَةِ
قُلُوبِنَا، وَاسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ مُرْتَبِطَةٌ بِاسْتِقَامَةِ اللِّسَانِ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ
أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ،
وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»^(٣).

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ
-أَي: تَذِلُّ لَهُ وَتَخْضَعُ- فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ
اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي أَمَامَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ
لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٨٩٠).

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٠٤٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رضي الله عنه، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»
(٢٨٤١).

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٠٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
«صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٧١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟».

قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(٢).
أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ:
«يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟».

قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا».

قُلْتُ: «ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟».

قَالَ: «أَنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِكَ»^(٣). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِإِسْنَادٍ
صَحِيحٍ.

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «يَا
رَسُولَ اللَّهِ! عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١)، وَمُسْلِمٌ (٤٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٠، ٦٤٨٤)، وَمُسْلِمٌ (٤٠).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٠) / رَقْمٌ ٩٨٠٢، ٩٨٠٣، ط ابنِ تَيْمِيَّةَ، وَصَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٥٢).

قَالَ: «إِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ؛ أَعْتَقِ النَّسْمَةَ، وَفَكَ الرَّقَبَةَ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم: «طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ»^(٢). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» وَ«الصَّغِيرِ»، وَهُوَ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٣). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرًّا مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرًّا مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٦٤٧)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٧٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (١٠ / رَقْمُ ٢١٣١٣، ط الْعِلْمِيَّة)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاتِ» (٣٣٨٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٣ / رَقْمُ ٢٣٤٠، دَارِ الْحَرَمَيْنِ)، وَفِي «الصَّغِيرِ» (٢١٢)، وَحَسَنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٧٤٠).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٠٧، ٦٤٧٤).

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٠٩)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ» (٦٨٨)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٥٧٠٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥١٠).

وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ! مَا عَلَيَّ ظَهْرُ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَيَّ طُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ»^(١). رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مَوْفُوفًا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه قَالَ: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَيْنِ وَلَجَ الْجَنَّةَ».

فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تُخْبِرُنَا؟».

فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه، فَأَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه مَقَالَتَهُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: «أَلَا تُخْبِرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه مِثْلَ ذَلِكَ - أَيْضًا -، ثُمَّ ذَهَبَ الرَّجُلُ يَقُولُ مَقَالَتَهُ، فَأَسَكَتَهُ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَيْنِ وَلَجَ الْجَنَّةَ؛ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ»^(٢). رَوَاهُ مَالِكٌ مُرْسَلًا هَكَذَا، وَهُوَ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

وَ «وَلَجَ الْجَنَّةَ» أَي: دَخَلَهَا.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٢٦٤٩٩)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٩ / رَقْمُ ٨٧٤٤) وَمَوَاضِعَ، وَصَحَّحَهُ مَوْفُوفًا الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٥٨).

(٢) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» (٥٦ - كِتَابُ الْكَلَامِ، رَقْمُ ١١)، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٥٩).

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ».

قَالَ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِم».

قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟!».

فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَابْنُ جَبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ شَيْءٍ أَتَقِي؟!» فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ^(٢). رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي «الثَّوَابِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «أَمْلِكْ هَذَا»، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ^(٣). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤١٠)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٩٧٢)، وَابْنُ جَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٥٦٩٨) وَمَوَاضِعَ، وَالْحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ» (٤ / رَقْمُ ٧٨٧٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٦٢).

وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٨).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٤١٧) وَمَوَاضِعَ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٦٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٣ / رَقْمُ ٣٣٤٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٦٤).

فِي «الْكَبِيرِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأْتِقَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ».

قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟!».

قُلْتُ: «بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ».

قَالَ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ».

ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٩]، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟».

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٠٤٨)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٥٥٤)،

قُلْتُ: «بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟».

قُلْتُ: «بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ.

قُلْتُ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟!».

قَالَ: «ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ:

عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ،

وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ.

وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مُخْتَصَرًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكُلُّ مَا نَتَكَلَّمُ بِهِ يُكْتَبُ

عَلَيْنَا؟».

قَالَ: «ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ! وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ

أَلْسِنَتِهِمْ؟! إِنَّكَ لَنْ تَزَالَ سَالِمًا مَا سَكَتَ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ كُتِبَ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦١٦)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٢٢٤) وَمَوَاضِعَ، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٩٧٣)،

وَأَحْمَدُ (٢٢٠١٦) وَمَوَاضِعَ، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»

(٢٨٦٦، ٧٣٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٠ / رَقْمُ ١٣٧)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٦٦).

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ أَنَّ مُعَاذًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟!».

قَالَ: «الصَّلَاةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ».

قَالَ: «لَا؛ وَنِعْمًا هِيَ».

قَالَ: «الصَّوْمُ بَعْدَ صِيَامِ رَمَضَانَ».

قَالَ: «لَا؛ وَنِعْمًا هِيَ».

قَالَ: «فَالصَّدَقَةُ بَعْدَ الصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ».

قَالَ: «لَا؛ وَنِعْمًا هِيَ».

قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟» أَيُّ: لَيْسَ عَمَّا أَجَبْتَ عَنْهُ سَأَلْتُكَ.

قَالَ: «فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَانَهُ، ثُمَّ وَضَعَ إصْبَعَهُ عَلَيْهِ».

فَاسْتَرْجَعَ مُعَاذٌ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنُؤَاخِذُ بِمَا نَقُولُ كُلِّهِ، وَيُكْتَبُ عَلَيْنَا؟!».

قَالَ: «فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْكَبَ مُعَاذٍ مِرَارًا فَقَالَ لَهُ: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ

يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ! وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ
الْسِّنْتِهِمْ؟» (١).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢١٢٢، ٢٢٠٦٣)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ» (٥ / ٦٥ - ٦٦)،

وَالْأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (١٤٦٤)، وَحَسَنُهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٦٦).

وَعَنْ أَسْوَدَ بْنِ أَصْرَمَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي».

قَالَ: «تَمْلِكُ يَدَكَ».

قُلْتُ: «فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟».

قَالَ: «تَمْلِكُ لِسَانَكَ»

قُلْتُ: «فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِي؟».

قَالَ: «لَا تَبْسُطُ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ، وَلَا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا»^(١). رَوَاهُ

الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي».

قَالَ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا زَيْنٌ لِأَمْرِكَ كُلِّهِ».

قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! زِدْنِي».

قَالَ: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ عز وجل؛ فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَنُورٌ

لَكَ فِي الْأَرْضِ».

قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! زِدْنِي».

قَالَ: «وإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيُدْهَبُ نُورُ الْوَجْهِ».

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١/ رَقْمٌ ٨١٧، ٨١٨)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعْبِ» (٧/ رَقْمٌ

٤٥٨٣، ط الرُّشْدِ)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٦٧).

قُلْتُ: «زِدْنِي».

قَالَ: «قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا».

قَالَ: قُلْتُ: «زِدْنِي».

قَالَ: «لَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»
بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لغيره.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي».

قَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا جَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ
لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ»^(٢). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ»
بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لغيره.

وَعَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي».

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٦١)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢ / رَقْمُ ١٦٥١)،
وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» (٧ / رَقْمُ ٤٥٩٢)، قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ
وَالتَّرْهيبِ» (٣ / ٩٢، رَقْمُ ٢٨٦٨): «عَزَّوَهُ لِأَحْمَدَ فِيهِ نَظَرٌ»، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْمُثَبَّتُ
هُنَا مِنْهُ لِشَوَاهِدِهِ، وَهُوَ بِتَمَامِهِ فِي الْكِتَابِ الْآخِرِ «الصَّعِيفُ» (١٣٥٢، ١٧٠٦).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١٧٧٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ» (٩٤٩)، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ
فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٦٩).

قَالَ: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ بِكَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؛ قَالَ: هَذَا»؛ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ - أَيْ: تَذُلُّ لَهُ وَتَخْضَعُ -، تَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا» (٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَعَنْ أَبِي وائِلٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ارْتَقَى الصِّفَا، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «يَا لِسَانَ! قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ».

ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانٍ» (٣).

أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يَجْبِذُ - أَيْ: يَشُدُّ - لِسَانَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: «مَهْ! غَفَرَ اللَّهُ لَكَ».

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصِّمْتِ» (٢٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٠ / رَقْمُ ٣٧٤)، وَحَسَنُهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٧٠) وَمَوَاضِعَ (٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٠ / رَقْمُ ١٠٤٤٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٧٢).

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: «إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي شَرَّ الْمَوَارِدِ»^(١). رَوَاهُ مَالِكٌ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَفِي لَفْظٍ لِلْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ قَالَ: «إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ».

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو ذَرْبَ اللِّسَانِ عَلَيَّ حِدَّتِهِ».

وَ «مَهْ» أَي: اكْفُفْ عَمَّا تَفْعَلُهُ، وَ «ذَرْبُ اللِّسَانِ»: حِدَّتُهُ، وَشَرُّهُ، وَفُحْشُهُ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا؛ يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٣). أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

(١) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» (٥٦ - كِتَابُ الْكَلَامِ، رَقْمُ ١٢)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ» (١٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» (٧ / رَقْمُ ٤٥٩٦، ٤٦٣٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٧٣).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٥٠١)، وَأَحْمَدُ (٦٤٨١، ٦٦٥٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٣ / رَقْمُ ١١٣، ١١٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٢٨٧٤).

(٣) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ؛ إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا؛ يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا» (١).

وَرَوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا؛ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ»، وَآلْفُظُهُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ؛ يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ» (٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا الْقَوْمَ، فَيَسْقُطَ بِهَا أَعْدَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، أَلَا عَسَىٰ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا أَصْحَابَهُ، فَيَسْخَطُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، لَا يَرْضَىٰ عَنْهُ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ النَّارَ» (٤). وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي وَصَايَاهُ يُرَكِّزُ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ، وَهُوَ أَمْرٌ هَيِّنٌ عَلَىٰ مَنْ هَوَّنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ وَلَكِنَّهُ صَعْبٌ عَسِرٌ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَهَوَّنَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَيْهِ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣١٤)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٩٧٠)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٧٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٧٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤/ رَقْمُ ٨٧٦٩)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٧٦).

(٤) حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٧٧).

عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» (١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» (٢). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وَحَسَنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «تُوْفِّي رَجُلٌ، فَقَالَ رَجُلٌ آخَرٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَسْمَعُ: «أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «أَوْ لَا تَدْرِي، فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ بَخَلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ» (٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَهُوَ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَأَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَيْضًا قَالَ: «اسْتَشْهَدَ رَجُلٌ مِنَّا يَوْمَ أُحُدٍ، فَوَجَدَ عَلَى بَطْنِهِ صَخْرَةً مَرْبُوطَةً مِنَ الْجُوعِ، فَمَسَحَتْ أُمُّهُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَتْ: «هَيِّئْ لَكَ يَا بَنِي الْجَنَّةِ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٧٧)، وَمُسْلِمٌ (٥٩٣).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣١٧)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٩٧٦)، وَحَسَنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٨١).

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣١٦)، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٨٢).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يُدْرِيكَ! لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَمْنَعُ مَا لَا يَضُرُّهُ»^(١). وَهُوَ حَسَنٌ لِّغَيْرِهِ.

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَهِيدًا، فَبَكَتْ عَلَيْهِ بَاكِئَةً، فَقَالَتْ: «وَاشْهَيْدَاهُ!».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ شَهِيدٌ! لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْخُلُ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ»^(٢). وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ لِّغَيْرِهِ.



(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ» (١٠٩)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (٤٠١٧)، وَحَسَنَهُ لِّغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٨٣).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (٦٦٤٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٧ / رقم ٤٦٥٦)، وَصَحَّحَهُ لِّغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٨٤).

شُرُوطُ الْكَلَامِ

اعْلَمْ - عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ - أَنَّ لِسَانَكَ أَدَاةٌ مُصَلِّتَةٌ^(١)، يَتَغَالَبُ عَلَيْهِ عَقْلُكَ وَغَضَبُكَ وَهَوَاكَ، فَكُلُّ غَالِبٍ عَلَيْهِ؛ مُسْتَمْتِعٌ بِهِ، وَصَارِفُهُ فِي مَحَبَّتِهِ، فَإِذَا غَلَبَ عَلَى لِسَانِكَ عَقْلُكَ فَهُوَ لَكَ، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَشْبَاهِ مَا سَمَّيْتُ لَكَ فَهُوَ لِعَدُوِّكَ، فَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَفِظَ بِهِ وَتَصُونَهُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا لَكَ، وَلَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ أَوْ يُشَارِكَ فِيهِ عَدُوُّكَ فَافْعَلْ^(٢).

قَالَ الْمَاورِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلامِ شُرُوطًا لَا يَسْلَمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الزَّلَلِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَعْرِى مِنَ النِّقْصِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ شُرُوطٌ: فَالْشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لِدَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ، إِمَّا فِي اجْتِلَابِ نَفْعٍ، أَوْ فِي دَفْعِ ضَرَرٍ.

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَيَتَوَخَّى بِهِ إِصَابَةَ فُرْصَتِهِ.

وَالشَّرْطُ الثَّلَاثُ: أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ.

(١) مُصَلِّتَةٌ: مُجَرَّدَةٌ.

(٢) «الْأَدَبُ الْكَبِيرُ» لِابْنِ الْمُفَفَّعِ (ص ١٠٦، دَارُ صَادِرٍ).

وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ» (١).

وَقَالُوا: «خَيْرُ الْأَلْسُنِ الْمَخْرُوجُ، وَخَيْرُ الْكَلَامِ الْمَوْزُونُ؛ فَحَدَّثَ إِِنْ حَدَّثْتَ

بِأَفْضَلِ مِنَ الصَّمْتِ، وَزَيْنُ حَدِيثِكَ بِالْوَقَارِ وَحُسْنُ السَّمْتِ» (٢). (*)



(١) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» (ص ٢٧٥).

(٢) «أَطْوَأُ الذَّهَبِ فِي الْمَوَاعِظِ وَالْخُطَبِ» (ص ٢٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «فَضْلُ الصَّمْتِ وَحِفْظُ اللِّسَانِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي

١٤٣٧ هـ الْمُوَافِقِ ٥-٢-٢٠١٦ م.

الْكَلَامُ الطَّيِّبُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ

لَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ شَيْءٍ يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» (١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ عَلَى الْقِمَّةِ الْعَالِيَةِ وَعَلَى ذِرْوَةِ السَّنَامِ، وَمَدَحَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِذَلِكَ، وَأَثَبَتْهُ لَهُ، فَقَالَ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الْقَلَم: ٤] ﷺ.

وَقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» (٢).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٤)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب، (٤٢٤٦).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيححة»: (٢ / ٦٦٩، رقم ٩٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢ / ٣٨١، رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٧٨، رقم ٢٧٣)، والبخاري في «المسند»: (١٥ / ٣٦٤، رقم ٨٩٤٩)، والحاكم في «المستدرک»: (٢ / ٦١٣، رقم ٤٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (١٠ / ١٩١ - ١٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمَعَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّهُ فِي الْخُلُقِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ الَّتِي قَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾؛ إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ، وَيُصَلِّيَ بِاللَّيْلِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ اسْتَفْتَحَ بِدُعَاءِ اسْتِفْتَاكِ الْقِيَامِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ - وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ قِيَامُ اللَّيْلِ لَيْلَةً وَاحِدَةً حَضْرًا وَلَا سَفَرًا ﷺ؛ حَتَّىٰ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا كَانَ مُسَافِرًا بَلِيلٍ؛ صَلَّى قِيَامَ اللَّيْلِ، وَتَهَجَّدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ﷺ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَكْمَلَ نَبِيَّهُ ﷺ، وَأَدَبَهُ، وَحَسَّنَ أَخْلَاقَهُ حَتَّىٰ صَارَ ذَهَبًا صِرْفًا مَحْضًا؛ بَلْ صَارَ كَمِثْلِهِ الذَّهَبُ الصَّرْفُ الْمَحْضُ ﷺ؛ إِلَّا أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» (١).

فِي دُعَاءِ عَظِيمٍ يَسْتَفْتَحُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ظَرْفَ الْمُنَاجَاةِ لِلْعَلِيِّ الْأَعْلَى ذِي

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

وَفِي رِوَايَةِ الْبِزَارِ، بَلْفِظِ: «... مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَبْنَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١ / ١١٢)، رَقْمُ (٤٥).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٧١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي دُعَاءِ اسْتِفْتَاكِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَبُوبَ لَهُ النَّوَوِيُّ: «بَابُ: الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ».

الْقُوَى وَالْقُدْرِ إِذَا مَا صَفَّ الْقَدَمَيْنِ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ:
«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ
أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»^(١).

وَهَذِهِ أَلْفَاظٌ شَفِيفَةٌ تَخْرُجُ مِنَ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ وَسَاطَةِ لِسَانٍ، إِنَّمَا هِيَ
لُغَةُ الْقَلْبِ الْحَيِّ، وَلُغَةُ الْقَلْبِ النَّابِضِ، وَلُغَةُ الدَّمِ الْمُتَاجِّجِ الْمُشْتَعِلِ
بِالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ يَدْعُو النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ
الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي
سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ».

مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ بِالْمَكَانِ الَّذِي يَعْرِفُ أَعْدَاؤُهُ قَبْلَ
أَصْدِقَائِهِ وَأَحِبَّائِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَقَبْلَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي يُثَبِّتُهَا لَهُ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﷺ؛
مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ،
فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤)، وَاللَّهُ ﷻ عِنْدَمَا يَصِفُ شَيْئًا بِأَنَّهُ عَظِيمٌ فَلَا
رَيْبَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ إِنْسَانٌ مَدَى عَظَمَتِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَصِفُهُ هُوَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لَهُ الْعَظَمَةُ الْمُتَفَرِّدَةُ، وَلَهُ الْجَنَابُ الْأَعْلَى، وَلَهُ الْمَقَامُ
الْأَسْنَى، وَهُوَ اللَّهُ ذُو الْقُوَى وَالْقُدْرِ.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩).

اللَّهُ عِنْدَمَا يَصِفُ شَيْئًا بِأَنَّهُ عَظِيمٌ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ إِنْسَانٌ مَدَى عَظَمَتِهِ.. (*) مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ عَلَى الْغَايَةِ وَفَوْقَ الْمُتَهَيِّئِ ﷺ، وَشَهِدَ لَهُ رَبُّهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤)، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَقُولُ وَهُوَ يَعْلَمُنَا: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ». (* / ٢).

إِنَّ بِحُسْنِ الْخُلُقِ يَبْلُغُ الرَّجُلُ عِنْدَ اللَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ.
 إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ لَيْسَ كَلَامًا يُقَالُ، وَإِنَّمَا هُوَ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ فِي النَّفْسِ.. (* / ٣).
 إِنَّ عِفَّةَ اللِّسَانِ، وَطِيبَ الْكَلَامِ، وَسَدِيدَ الْقَوْلِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ الرَّفِيعَةِ وَدَلِيلَ عَلَيْهَا، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤): «حُسْنُ الْخُلُقِ: أَنْ يَكُونَ سَهْلَ الْعَرِيكَةِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، طَلَقَ الْوَجْهِ، قَلِيلَ النَّفُورِ، طِيبَ الْكَلِمَةِ».
 قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَاءِ الدَّاءِ؟».
 قَالُوا: «بَلَى».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - الْجُمُعَةُ: ٣-١١-١٩٩٥ م.
 (* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةٍ: «كَيْفَ تَكُونُ حَسَنَ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ؟» - الْأَحَدُ ١٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤١ هـ / ١٠-٥-٢٠٢٠ م.
 (* / ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - الْجُمُعَةُ: ٣-١١-١٩٩٥ م.
 (٤) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ»: (ص ٢٤٣).

قَالَ: «الْخُلُقُ الدِّينِيُّ، وَاللِّسَانُ البَيْدِيُّ»^(١).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «كِتَابِ الإِيْمَانِ»^(٢): «مَا هَمَّ العَبْدُ بِهِ مِنْ القَوْلِ الحَسَنِ وَالْعَمَلِ الحَسَنِ فَإِنَّمَا يُكْتَبُ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِذَا صَارَ قَوْلًا وَعَمَلًا؛ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ؛ وَذَلِكَ لِلْحَدِيثِ المَشْهُورِ فِي الهَمِّ»^(*).



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت»: (ص ١٩٠، رقم ٣٣٨)، وأبو طاهر المخلص في جزء فيه سبعة مجالس من الأمالي: (١٧٢/٤، رقم ٣١٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٣٣٦/٢٤).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٣٧/٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةِ: «حُسْنُ الخُلُقِ ٢» - الأحد ٢٩ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا!

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وَمِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ: أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.

فِي الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا

لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾؛ أَي: كَلَّمُوهُمْ طَيِّبًا، وَلِينُوا لَهُمْ جَانِبًا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

فَالْحَسَنُ مِنَ الْقَوْلِ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْلُمُ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللَّهُ، وَهُوَ كُلُّ خُلُقٍ حَسَنٍ رَضِيَهُ اللَّهُ».

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٣١٧/١.

وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْقَوْلَ الطَّيِّبَ الْحَسَنَ لَا يَذْهَبُ سُدىً، وَلَا يَضِيعُ بَدَدًا، بَلْ صَاحِبُهُ مَأْجُورٌ عَلَيْهِ مَثَابٌ عَلَى قَوْلِهِ، فِيهِ الْحَدِيثُ الْمُتَمَّقِ عَلَيْهِ: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (١).

وَالْقَوْلُ السَّديدُ مِمَّا حَضَّ الْقُرْآنُ عَلَى الْإلتِرَامِ بِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٩) [النساء: ٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢): «يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ عِبَادَةً مَنْ كَانَهُ يَرَاهُ، وَأَنْ يَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا؛ أَي: مُسْتَقِيمًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ.

وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَثَابَهُمْ عَلَيْهِ بِأَنْ يُصَلِّحَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ؛ أَي: يُوفِّقَهُمْ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَهُمُ الذُّنُوبَ الْمَاضِيَةَ، وَمَا قَدْ يَقَعُ مِنْهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ يُلْهِمُهُمُ التَّوْبَةَ مِنْهَا.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٨٥ / ٦ رقم (٢٨٩١)، ومسلم في «الصحيح»:

٦٩٩ / ٢ رقم (١٠٠٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»: ٤٨٧ / ٦ - ٤٨٨.

قَالَ عِكْرِمَةُ: الْقَوْلُ السَّيِّدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: السَّيِّدُ: الصِّدْقُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ السَّدَادُ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ الصَّوَابُ.

وَالْكُلُّ حَقٌّ. (*)

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ

الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

«وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ

الْمُوجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾،

وَهَذَا أَمْرٌ بِكُلِّ كَلَامٍ يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ؛ مِنْ قِرَاءَةٍ، وَذِكْرٍ، وَعِلْمٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ،

وَنَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ، وَكَلَامٍ حَسَنٍ لَطِيفٍ مَعَ الْخَلْقِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ

وَمَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يُؤَمِّرُ بَابِئِثَارٍ أَحْسَنِهِمَا إِنْ

لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ

مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابٍ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ١٦-١٧) - لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي

عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسُلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: يَسْعَى بَيْنَ الْعِبَادِ بِمَا يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَدَوَاءُ هَذَا أَلَّا يُطِيعُوهُ فِي الْأَقْوَالِ غَيْرِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَلِينُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ لِيَنْقَمَعَ الشَّيْطَانُ الَّذِي يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ؛ فَإِنَّهُ عَدُوَّهُمُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُحَارِبُوهُ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُوهُمْ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ.

وَأَمَّا إِخْوَانُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَسَعَى فِي الْعِدَاوَةِ فَإِنَّ الْحَزْمَ كُلَّ الْحَزْمِ السَّعْيِي فِي ضِدِّ عَدُوِّهِمْ، وَأَنْ يَقْمَعُوا أَنْفُسَهُمُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، الَّتِي يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ مِنْ قِبَلِهَا؛ فَبِذَلِكَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ، وَيَسْتَقِيمُ أَمْرُهُمْ، وَيَهْدُونَ لِرُشْدِهِمْ» (١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦) [العنكبوت: ٤٦].

«يَنْهَى -تَعَالَى- عَنِ مُجَادَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا كَانَتْ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ الْمُجَادِلِ، أَوْ بِغَيْرِ قَاعِدَةٍ مَرْضِيَّةٍ، وَأَلَّا يُجَادِلُوا إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ بِحُسْنِ خُلُقٍ، وَلُطْفٍ، وَلِينِ كَلَامٍ، وَدَعْوَةٍ إِلَى الْحَقِّ وَتَحْسِينِهِ، وَرَدِّ عَنِ الْبَاطِلِ وَتَهْجِينِهِ بِأَقْرَبِ طَرِيقٍ مُوَصَّلٍ لِلذِّكِّ، وَأَلَّا يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْهَا مُجَرَّدَ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُغَالَبَةِ، وَحُبِّ الْعُلُوِّ، بَلْ يَكُونُ الْقَصْدُ بَيَانَ الْحَقِّ وَهُدَايَةَ الْخَلْقِ؛ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنْ ظَهَرَ مِنْ قَصْدِهِ وَحَالِهِ أَنَّهُ لَا إِرَادَةَ لَهُ فِي الْحَقِّ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُ عَلَى وَجْهِ الْمُسَاغَبَةِ وَالْمُغَالَبَةِ، فَهَذَا لَا فَائِدَةَ فِي جِدَالِهِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا ضَائِعٌ.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ أَي: وَلْتَكُنْ مُجَادَلَتُكُمْ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مَبْنِيَّةً عَلَى الْإِيمَانِ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَأُنزِلَ إِلَيْهِمْ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِرُسُولِكُمْ وَرُسُولِهِمْ، وَعَلَى أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ، وَلَا تَكُنْ مُنَازَرَتُكُمْ إِيَّاهُمْ عَلَى وَجْهِ يَحْصُلُ بِهِ الْقَدْحُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَهْلَةُ عِنْدَ مُنَازَرَةِ الْخُصُومِ، يَقْدَحُ بِجَمِيعِ مَا مَعَهُمْ مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، فَهَذَا ظُلْمٌ وَخُرُوجٌ عَنِ الْوَاجِبِ وَأَدَابِ النَّظَرِ؛ فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَرُدَّ مَا مَعَ الْخَصْمِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَقْبَلَ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا يَرُدَّ الْحَقَّ لِأَجْلِ قَوْلِهِ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا.

وَأَيْضًا فَإِنَّ بِنَاءَ مُنَازَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ فِيهِ إِلْزَامٌ لَهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِالْقُرْآنِ وَبِالرُّسُولِ الَّذِي جَاءَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الْأُصُولِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْكَتُبُ، وَتَقَرَّرَتْ عِنْدَ الْمُتَنَازِرِينَ، وَثَبَتَتْ حَقَائِقُهَا عِنْدَهُمَا، وَكَانَتِ الْكُتُبُ السَّابِقَةُ وَالْمُرْسَلُونَ مَعَ الْقُرْآنِ وَمُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ بَيَّنَّتْهَا، وَدَلَّتْ عَلَيْهَا، وَأَخْبَرَتْ بِهَا؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ التَّصَدِيقُ بِالْكِتَابِ كُلِّهَا، وَالرُّسُلِ كُلِّهِمْ، وَهَذَا مِنْ خِصَائِصِ الْإِسْلَامِ.

فَأَمَّا أَنْ يُقَالَ: نُؤْمِنُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْفُلَانِي دُونَ الْكِتَابِ الْفُلَانِيِّ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي صَدَّقَ مَا قَبْلَهُ، فَهَذَا ظُلْمٌ وَهَوَى، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ بِالتَّكْذِيبِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَذَّبَ الْقُرْآنَ الدَّالَّ عَلَيْهَا، الْمُصَدِّقَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ؛ فَإِنَّهُ مُكَذِّبٌ لِمَا زَعَمَ أَنَّهُ بِهِ مُؤْمِنٌ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ كُلَّ طَرِيقٍ تَثَبَّتْ بِهِ نُبُوَّةُ أَيِّ نَبِيِّ كَانَ فَإِنَّ مِثْلَهَا وَأَعْظَمَ مِنْهَا دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكُلُّ شُبْهَةٍ يُقَدِّحُ بِهَا فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّ مِثْلَهَا أَوْ أَعْظَمَ مِنْهَا يُمَكِّنُ تَوَجُّهَهَا إِلَى نُبُوَّةِ غَيْرِهِ، فَإِذَا ثَبَتَ بُطْلَانُهَا فِي غَيْرِهِ فَثُبُوتُ بُطْلَانِهَا فِي حَقِّهِ ﷺ أَظْهَرَ وَأَظْهَرُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦) أَي: مُتَقَادُونَ مُسْتَسْلِمُونَ لِأَمْرِهِ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ، وَاتَّخَذَهُ إِلَهًا، وَآمَنَ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَانْقَادَ لِلَّهِ، وَاتَّبَعَ رُسُلَهُ؛ فَهُوَ السَّعِيدُ، وَمَنْ انْحَرَفَ عَنِ هَذَا الطَّرِيقِ فَهُوَ الشَّقِيُّ» (١).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٣) وَلَا سَتَوَى الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٢٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ (٢٥) [فصلت: ٣٣-٣٥].

«هَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ الْمُتَقَرَّرِ، أَي: لَا أَحَدٌ أَحْسَنُ قَوْلًا -أَي: كَلَامًا وَطَرِيقَةً وَحَالَةً- مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ بِتَعْلِيمِ الْجَاهِلِينَ، وَوَعِظِ الْغَافِلِينَ وَالْمُعْرِضِينَ، وَمُجَادَلَةِ الْمُبْطِلِينَ، بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، وَتَحْسِينِهَا مَهْمَا أُمَكَّنَ، وَالزَّجْرَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَتَقْيِيحُهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ يُوجِبُ تَرْكَهُ؛ خُصُوصًا مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى أَصْلِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَتَحْسِينِهِ، وَمُجَادَلَةِ أَعْدَائِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالنَّهْيَ عَمَّا يُضَادُّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

(١) «تفسير السعدي» (ص ٦٣٢).

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: تَحْيِيئُهُ إِلَى عِبَادِهِ بِذِكْرِ تَفَاصِيلِ نِعَمِهِ، وَسَعَةِ جُودِهِ، وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ، وَذِكْرِ أَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ.

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: التَّرغِيبُ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَالْحَثُّ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ طَرِيقٍ مُوَصِّلٍ إِلَيْهِ.

وَمِنَ ذَلِكَ: الْحَثُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى عُمُومِ الْخَلْقِ، وَمُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْأَمْرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

وَمِنَ ذَلِكَ: الْوَعْظُ لِعُمُومِ النَّاسِ فِي أَوْقَاتِ الْمَوَاسِمِ، وَالْعَوَارِضِ، وَالْمَصَائِبِ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْحَالَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا تَنْحَصِرُ أَفْرَادُهُ مِمَّا تَشْمَلُهُ الدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَالتَّرْهيبُ مِنْ جَمِيعِ الشَّرِّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَمَلٌ صَالِحًا﴾ أَي: مَعَ دَعْوَتِهِ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ بَادِرَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُرْضِي رَبَّهُ، ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٣٣ أَي: الْمُتَقَادِينَ لِأَمْرِهِ، السَّالِكِينَ فِي طَرِيقِهِ، وَهَذِهِ الْمُرْتَبَةُ تَمَامُهَا لِلصَّادِقِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا عَلَى تَكْمِيلِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَكْمِيلِ غَيْرِهِمْ، وَحَصَلَتْ لَهُمُ الْوِرَاثَةُ التَّامَّةُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ قَوْلًا: مَنْ كَانَ مِنْ دُعَاةِ الصَّالِحِينَ السَّالِكِينَ لِسُبُلِهِ.

وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْمُرْتَبَتَيْنِ الْمُتَبَايِنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ارْتَفَعَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَنَزَلَتْ الْأُخْرَى إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِينَ مَرَاتِبُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَكُلُّهَا مَعْمُورَةٌ بِالْخَلْقِ، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ يَفْعَلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١٣٢.

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أَي: لَا يَسْتَوِي فِعْلُ الْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ لِأَجْلِ رِضَا اللَّهِ -تَعَالَى-، وَلَا فِعْلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تُسَخِّطُهُ وَلَا تُرْضِيهِ، وَلَا يَسْتَوِي الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَلَا الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمْ، لَا فِي ذَاتِهَا، وَلَا فِي وَصْفِهَا، وَلَا فِي جَزَائِهَا ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾؟!

ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَسَانِ خَاصًّا لَهُ مَوْقِعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، فَقَالَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أَي: فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيءٌ مِنَ الْخَلْقِ -خُصُوصًا مَنْ لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَيْكَ؛ كَالْأَقْرَبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَنَحْوِهِمْ- إِسَاءَةً بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ؛ فَقَابِلْهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَطَعَكَ فَصِلْهُ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاعْفُ عَنْهُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فِيكَ غَائِبًا أَوْ حَاضِرًا فَلَا تُقَابِلْهُ، بَلِ اعْفُ عَنْهُ، وَعَامِلْهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَإِنْ هَجَرَكَ، وَتَرَكَ خِطَابَكَ؛ فَطَيِّبْ لَهُ الْكَلَامَ، وَابْذُلْ لَهُ السَّلَامَ، فَإِذَا قَابَلْتَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ؛ حَصَلَتْ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ أَي: كَأَنَّهُ قَرِيبٌ شَفِيقٌ.

﴿وَمَا يُلْقِهَا﴾ أَي: وَمَا يُوفِّقُ لِهَذِهِ الْخِصْلَةِ الْحَمِيدَةِ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا نَفْسَهُمْ عَلَى مَا تَكَرَّهُ، وَأَجْبَرُوهَا عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ، وَعَدَمِ الْعَفْوِ عَنْهُ؛ فَكَيْفَ بِالْإِحْسَانِ!!؟

فَإِذَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَعَرَفَ جَزِيلَ الثَّوَابِ، وَعَلِمَ أَنَّ مُقَابَلَتَهُ لِلْمُسِيءِ بِجِنْسِ عَمَلِهِ لَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، وَلَا يَزِيدُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا شِدَّةً، وَأَنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ لَيْسَ بِوَاضِعِ قَدْرِهِ، بَلْ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ؛ هَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مُتَلَذِّذًا مُسْتَحْلِيًّا لَهُ.

﴿وَمَا يُقْلَعُ إِلَّا ذُوحَضِّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥)؛ لِكُونِهَا مِنْ خِصَالِ خَوَاصِّ الْخَلْقِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ الرَّفْعَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ خِصَالِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ (١).

وَذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى جُمْلَةً مِنْ أَخْلَاقِ وَخِصَالِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ؛ مِنْهَا: أَنَّ الْجَاهِلِينَ بِاللَّهِ إِذَا خَاطَبُوهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ مِنَ الْقَوْلِ أَجَابُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ مِنَ الْقَوْلِ، وَالسَّادِدِ مِنَ الْخِطَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) [الفرقان: ٦٣].

«الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ نَوْعَانِ: عُبُودِيَّةٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ، فَهَذِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا سَائِرُ الْخَلْقِ؛ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، بَرُّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ، فَكُلُّهُمْ عَبِيدٌ لِلَّهِ، مَرْبُوبُونَ مُدَبَّرُونَ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ (١٣).

وَعُبُودِيَّةٌ لِأُلُوهِيَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَهِيَ عُبُودِيَّةٌ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَهِيَ الْمُرَادُ هُنَا؛ وَلِهَذَا أَضَافَهَا إِلَى اسْمِهِ (الرَّحْمَنِ)، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا وَصَلُوا إِلَى الْإِلَهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ، فَذَكَرَ أَنَّ صِفَاتِهِمْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ، وَنُعُوتُهُمْ أَفْضَلُ النُّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أَي: سَاكِنِينَ مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ وَالْخَلْقِ، فَهَذَا وَصْفٌ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ وَالتَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أَي: خِطَابَ جَهْلٍ؛ بِدَلِيلِ إِضَافَةِ الْفِعْلِ وَإِسْنَادِهِ لِهَذَا الْوَصْفِ ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أَي: خَاطَبُوهُمْ خِطَابًا يَسْلَمُونَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ، وَيَسْلَمُونَ مِنْ مُقَابَلَةِ الْجَاهِلِ بِجَهْلِهِ، وَهَذَا مَدْحٌ لَهُمْ بِالْحِلْمِ الْكَثِيرِ، وَمُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْجَاهِلِ، وَرِزَانَةِ الْعَقْلِ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ.

(١) «تفسير السعدي» (ص ٧٤٩).

فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّوَاضُّعِ لَهُ وَلِعِبَادِهِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ،
وَالْحِلْمِ، وَسِعَةِ الْخُلُقِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَمُقَابَلَةِ
إِسَاءَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ»^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا
[النساء: ١١٤].

«أَيُّ: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَتَنَاجَى بِهِ النَّاسُ وَيَتَخَاطَبُونَ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ
خَيْرٌ؛ فَإِمَّا لَا فَايِدَةَ فِيهِ؛ كَفُضُولِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ، وَإِمَّا شَرٌّ وَمَضَرَّةٌ مَحْضَةٌ؛
كَالْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ.

ثُمَّ اسْتَشْنَى - تَعَالَى - فَقَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾: مِنْ مَالٍ، أَوْ عِلْمٍ، أَوْ أَيِّ
نَفْعٍ كَانَ؛ بَلْ لَعَلَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْعِبَادَاتُ الْقَاصِرَةُ؛ كَالْتَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَنَحْوِهِ،
كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ
صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ
صَدَقَةٌ...»^(٢) الْحَدِيثُ.

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: وَهُوَ الْإِحْسَانُ وَالطَّاعَةُ وَكُلُّ مَا عُرِفَ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ حُسْنُهُ،
وَإِذَا أُطْلِقَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفْرَنَ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ دَخَلَ فِيهِ النَّهْيُ عَنِ

(١) «تفسير السعدي» (ص ٥٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

الْمُنْكَرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَرْكَ الْمَنْهِيَّاتِ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَيْضًا لَا يَتِمُّ فِعْلُ الْخَيْرِ إِلَّا بِتَرْكِ الشَّرِّ؛ وَأَمَّا عِنْدَ الْاِقْتِرَانِ فَيُفَسَّرُ الْمَعْرُوفُ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَالْمُنْكَرُ بِتَرْكِ الْمَنْهِيِّ.

﴿أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ﴾: وَالْإِصْلَاحُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ مُتَنَازِعِينَ مُتَخَاصِمِينَ، وَالنِّزَاعُ وَالْخِصَامُ وَالْتِغَاضِبُ يُوجِبُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفُرْقَةِ مَا لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ؛ فَلِذَلِكَ حَثَّ الشَّارِعُ عَلَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ؛ بَلْ وَفِي الْأَدْيَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَمْتًا لَوْ أَنِ فَاصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنِ بَغْتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَفْتَنَلُوا﴾ الَّتِي تَبَعِيَ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴿الآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

وَالسَّاعِي فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنَ الْقَانِتِ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْمُصْلِحُ لَا بُدَّ أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ سَعِيَهُ وَعَمَلَهُ، كَمَا أَنَّ السَّاعِي فِي الْإِفْسَادِ لَا يُصْلِحَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَلَا يَتِمُّ لَهُ مَقْصُودُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١)، فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ حَيْثُمَا فُعِلَتْ فَهِيَ خَيْرٌ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْإِسْتِثْنَاءُ؛ وَلَكِنَّ كَمَالَ الْأَجْرِ وَتَمَامَهُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤): فَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَقْصِدَ وَجْهَ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَيُخْلِصَ الْعَمَلَ لِلَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْخَيْرِ؛ لِيَحْضَلَ لَهُ بِذَلِكَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، وَلِيَتَعَوَّدَ الْإِخْلَاصَ فَيَكُونَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ، وَلِيَتِمَّ لَهُ الْأَجْرُ؛ سِوَاءِ تَمِّ مَقْصُودِهِ أَمْ لَا؛ لِأَنَّ النِّيَّةَ حَصَلَتْ، وَاقْتَرَنَ بِهَا مَا يُمْكِنُ مِنَ الْعَمَلِ» (١).

(١) «تفسير السعدي» (ص: ٢١٩).

وَكَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحُسْنِ الْكَلَامِ فِي كِتَابِهِ كَذَلِكَ أَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (١).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ هَانِي بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِأَيِّ شَيْءٍ يُوجِبُ لِي الْجَنَّةَ». قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْكَلَامِ، وَبَدَلِ الطَّعَامِ» (٢).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ: «عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ، وَبَدَلِ السَّلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ». وَأَصْلُ الطَّيِّبِ كَمَا يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ: «مَا تَسْتَلِدُّهُ الْحَوَاسُّ، وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافٍ مُتَعَلِّقِهِ» (٣).

وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: «طِيبُ الْكَلَامِ مِنْ جَلِيلِ عَمَلِ الْبِرِّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وَالِدَّفْعُ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ» (٤).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢٩٠٥)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٥٠٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (١٢٣٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ» (٨١١)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٥٠٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ» (٦٢٧).

(٣) «فَتْحُ الْبَارِي» (١٠ / ٤٤٨).

(٤) «شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٩ / ٢٢٥، ط الرُّشْدِ).

عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْكَلَامِ بَيْنَ الْأَنْامِ، وَبَذَلِ الطَّعَامِ لِلْخَاصِّ وَالْعَامِّ.

قَالُوا: «وَحُسْنُ الْكَلَامِ أَنْ يَزِنَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ قَبْلَ النُّطْقِ بِهِ بِمِيزَانِ الْعَقْلِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا تَمَسُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ قِيلَ: لَا تَكْثِرِ الْكَلَامَ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَثُرَ سَمَجٌ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا يَحْرِّكُ النَّفْسَ وَيُثِيرُ الشَّرَّ؛ فَإِنَّهُ إِذَا صَدَرَ مِنْ نَفْسٍ ثَائِرَةٍ حَرَّكَ نَفْسَ الْمُخَاطَبِ وَإِنْ كَانَ كَلَامًا حَسَنًا، وَمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فِيهِ خُسُونَةٌ عَنِ نَفْسٍ طَيِّبَةٍ لَا يُؤَثِّرُ إِزْعَاجًا».

وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه: «مَغْرَسُ الْكَلَامِ الْقَلْبُ، وَمُسْتَوْدَعُهُ الْفِكْرُ، وَمُقْوِيهِ الْقَلْبُ، وَمُبْدِؤُهُ اللَّسَانُ، وَجِسْمُهُ الْحُرُوفُ، وَرُوحُهُ الْمَعْنَى، وَحِلْيَتُهُ الْأَعْرَابُ».

قَالُوا: «وَلْيُحَذَرْ مِنْ فَاحِشِ الْكَلَامِ وَلَوْ عَلَى وَجْهِ الْحِكَايَةِ، وَفِي حَالِ الْقَبْضِ وَالْغَضَبِ؛ لِأَنَّهُ إِلَى الزَّلَلِ أَقْرَبُ، وَأَحْسَنُ ضَابِطٍ أَنْ يُقَالَ: لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا تَمَسُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَرَبَّ كَلَامٍ جَوَابُهُ السُّكُوتُ» (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «فَضْلُ الصَّمْتِ وَحِفْظُ اللَّسَانِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي

أَحْسَنُ الْكَلَامِ ذِكْرُ الْمَلِكِ الْعَلَامِ

إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ وَأَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ أَجْرًا وَأَحَبَّهُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ذِكْرُهُ ﷺ؛
فَذَكَرَ اللَّهُ هُوَ عِمَارَةُ الْأَوْقَاتِ، وَبِهِ تَزُولُ الْهُمُومُ وَالْعُمُومُ وَالْكَدُورَاتُ،
وَبِهِ تَحْصُلُ الْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، وَهُوَ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ الْمُقْفِرَاتِ، كَمَا أَنَّهُ
غِرَاسُ الْجَنَّاتِ.

وَهُوَ مُوَصَّلٌ لِأَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَا يُحْصَى، وَمِنَ الْفَضَائِلِ
مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُسْتَقْصَى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا
﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]. (*)

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ؛ مَثَلُ الْحَيِّ
وَالْمَيِّتِ» (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَابُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ» - الْجُمُعَةَ ١٧ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٧ هـ | ٢٢ -
٧-٢٠١ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢٠٨/١١، رَقْمٌ (٦٤٠٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا-
مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١/٥٣٩، رَقْمٌ (٧٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه)، وَلَفْظُ مُسْلِمٍ:
«مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُدَاوِمُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى،
حَتَّى بِمَعْنَى الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَأَمَّا الَّذِي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلَا
يُقْبَلُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهُوَ مَيِّتٌ. (*).

وَفِي «صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ» (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى
الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٣) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا
أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟

إِنْ أَحَبَّ الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

إِنَّ الذِّكْرَ مِنْ أَيْسَرِ الْأُمُورِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَدَلٍ مَالٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى كَبِيرٍ
مَجْهُودٍ. (* / ٢).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضِرَةٍ: «أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؟» - الْأَحَدُ ٢٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ |
٢٣-١٠-٢٠٠٥ م.

(٢) «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: ٢٠٦/١١، رَقْم (٦٤٠٦)، وَ«صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: ٢٠٧٢/٤، رَقْم
(٢٦٩٤).

(٣) «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: ٢٠٩٣/٤، رَقْم (٢٧٣١).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «ذِكْرُ اللَّهِ ﷻ.. مَعْنَاهُ.. أَنْوَاعُهُ.. فَوَائِدُهُ» - الْمُحَاضِرَةُ الْأُولَى
- السَّبْتُ ٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٦ هـ | ١٩-٩-٢٠١٥ م.

أَحْسَنُ الْكَلَامِ وَالذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): «عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، أَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا: أَنْ يَأْمُرُوا بِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مَنْ لَمْ يَقْلُهَا وَرَغِبَ عَنْهَا، حَتَّى يَقُولُوهَا كَمَا قَالُوهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قُرْبَةٌ مِنَ اللَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، وَقَالَ الْحَسَنُ -أَيْضًا-: لِيُنِ الْقَوْلِ مِنَ الْأَدَبِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ مِمَّا ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ».

إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَهِيَ آخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ الْعَبْدُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْلَمَ؛ «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

فَهِيَ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ الدِّينَ، وَآخِرُ مَا يُفَارِقُ عَلَيْهِ الْحَيَاةَ، وَهُوَ يَحْيَا بَيْنَ

(١) «تفسير الطبري» (٢/ ١٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٣/ ١٩٠، رقم (٣١١٦)، من حديث: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث حسنه الألباني في «إرواء الغليل»: ٣/ ١٤٩، رقم (٦٨٧).

هَاتَيْنِ الْغَايَتَيْنِ، بَيْنَ الْبِدَايَةِ وَالنَّهَائَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَهِيَ نَفْيُ: لَا إِلَهَ، وَإِثْبَاتُ: إِلَّا اللَّهُ. (*)

فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، أَي: فَاعْلَمْ - يَا مُحَمَّدُ - أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ.

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَوَّلُ الْوَاجِبَاتِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ (٢) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُخَاصَرَةِ: «أَهْمِيَّةُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠ هـ / ٢٢-٨-٢٠٠٩ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣ / ٣٢٢، رَقْم (١٤٥٨) وَ ١٣ / ٣٤٧، رَقْم وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١ / ٥١، رَقْم (١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ [وَفِي رِوَايَةٍ: فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى]، ...» الْحَدِيثِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِهَمَا: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْي رَسُولُ اللَّهِ، ...» الْحَدِيثِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «وَقَدْ عَلِمَ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ،
وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ: أَنَّ أَصْلَ الْإِسْلَامِ، وَأَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْخَلْقُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

فَبِذَلِكَ يَصِيرُ الْكَافِرُ مُسْلِمًا، وَالْعَدُوُّ وَلِيًّا، وَالْمُبَاحُ دَمُهُ وَمَالُهُ مَعْصُومٌ
الِدَّمِ وَالْمَالِ.

ثُمَّ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي الْإِيمَانِ، وَإِنْ قَالَهُ بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ،
فَهُوَ فِي ظَاهِرِ الْإِسْلَامِ دُونَ بَاطِنِ الْإِيمَانِ».

لَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَضْلَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَفَضْلَ الذِّكْرِ
بِهَا، مَعَ تَحْقِيقِهَا، وَالصَّدَقِ فِيهَا، وَالْإِخْلَاصِ، مَعَ الْمَحَبَّةِ لَهَا، وَمَوَالَاةِ أَهْلِهَا.

* فَبَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ الصَّدَقِ فِيهَا:

فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ^(٢)، مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا
حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

* وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ صَاحِبَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مَعْصُومٌ الدَّمِ وَالْمَالِ:

(١) «جامع المسائل»: ٨ / ٢٠١، (مكة: دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٣٢ هـ)، وانظر:
«تيسير العزيز الحميد»: ص ٩٨، و«فتح المجيد»: ص ٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ١ / ٢٢٦، رقم (١٢٨)، ومسلم في «الصحيح»: ١ /
٦١، رقم (٣٢).

فَعَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْتِيمَ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَقُولُ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحِسَابَهُ عَلَى اللَّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

* وَقَدْ عَلَّقَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله عِصْمَةَ الْمَالِ وَالِدَمِّ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَالثَّانِي: الْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَمْ يَكْتَفِ بِاللَّفْظِ الْمُجَرَّدِ عَنِ الْمَعْنَى، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ قَوْلِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا.

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَبِينُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلْفِظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالْمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ التَّلْفِظِ بِهَا، بَلْ وَلَا الْإِقْرَارَ بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرُمُ دَمَهُ وَمَالَهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَرَدَّدَ لَمْ يَحْرُمَ مَالَهُ وَدَمَهُ.

* وَبَيَّنَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله أَنَّ اللَّهَ عز وجل حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ:

كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢)، مِنْ رِوَايَةِ: عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُبْتِغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ».

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ١/ ٥٣، رقم (٢٣).

وفي رواية له: «مَنْ وَحَدَّ اللَّهُ»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

(٢) «صحيح البخاري»: ١/ ٥١٩، رقم (٤٢٥)، و«صحيح مسلم»: ١/ ٤٥٥ و ٤٥٦،

رقم (٣٣).

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ»؛ أَي: مَنَعَ مِنَ النَّارِ، أَوْ مَنَعَ النَّارَ أَنْ تُصِيبَهُ.

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ أَي: بِشَرَطِ الْإِخْلَاصِ.

* وَمَنْ أَتَى بِشَرَطِ الْعِلْمِ دَخَلَ الْجَنَّةَ:

فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ ^(١) مِنْ رِوَايَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

يُنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ الشَّاهِدُ بـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مَعْنَاهَا.

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ نَفَى الْإِلَهِيَّةَ، وَأَثَبَتِ الْإِيجَابَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، كَانَ مِمَّنْ كَفَرَ بِالطَّاغُوتِ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ.

وَالْإِلَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمُطَاعُ، وَهُوَ الَّذِي يُطَاعُ فَلَا يُعْصَى هَيْبَةً لَهُ وَإِجْلَالًا، وَمَحَبَّةً، وَخَوْفًا، وَرَجَاءً، وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ، وَسُؤَالًا مِنْهُ، وَدُعَاءً لَهُ، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمَنْ أَشْرَكَ مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الْأُلُوهِيَّةِ كَانَ ذَلِكَ قَدْ حَافِيَ قَوْلٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَنَقَصًا فِي تَوْحِيدِهِ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ عِبُودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فُرُوعِ الشِّرْكِ.

وَعِبَادُ الْقُبُورِ لَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَلَا عَرَفُوا الْإِلَهِيَّةَ الْمُنْفِيَّةَ عَنِ غَيْرِ اللَّهِ، الثَّابِتَةَ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(١) «صحيح مسلم»: ١/ ٥٥، رقم (٢٦).

* وَمَنْ أَتَى بِشَرْطِ الْإِخْلَاصِ فَهُوَ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ^(١)، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

وَمَنْ قَالَهَا، وَأَتَى بِشَرْطِ الْيَقِينِ فِيهَا فَقَدْ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢)، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَقِيَْتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ».

* «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ:

كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣)، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - وَهَذِهِ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - هِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ - وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

فَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ.

(١) «صحيح البخاري»: ١/١٩٣، رقم (٩٩) و٤١٨/١١، رقم (٦٥٧٠).

(٢) «صحيح مسلم»: ١/٥٩-٦٠، رقم (٣١).

(٣) «صحيح البخاري»: ١/٥١، رقم (٩)، و«صحيح مسلم»: ١/٦٣، رقم (٣٥)، بلفظ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ [وَلِلْبُخَارِيِّ: وَسِتُّونَ] شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

وقوله: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» الحديث، فأخرجه مسلم أيضا: ١/٦٣،

رقم (٣٥).

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَمُقْتَضِي لِدَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُقْتَضِي لَا يَعْمَلُ عَمَلَهُ إِلَّا بِاسْتِجْمَاعِ شُرُوطِهِ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ، فَقَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ لِفَوَاتِ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِهِ أَوْ لَوْجُودِ مَانِعٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَادَّي حَقَّهَا وَفَرَضَهَا؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ لِمَنْ سَأَلَهُ: أَلَيْسَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ؟

قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فَتُحَّ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ (١). (*)



(١) ذكره البخاري معلقا في «الصحیح»: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ...، ٣ / ١٠٩، وأخرجه موصولا أيضا في «التاريخ الكبير»: ١ / ٩٥، ترجمة (٢٦١)، وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب» ١٢ / ٣٣٤، رقم (٢٨٩٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٤ / ٦٦، ترجمة (٢٥٠)، وفي «صفة الجنة» ٢ / ٣٩، رقم (١٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: ١ / ٢٧٤، رقم (٢٠٨)، والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة»: ٢ / ١٥٢، وابن حجر في «تغليق التعليق»: ٢ / ٤٥٣ و ٤٥٤، من طريق: عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ الدَّمَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ رُمَانَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: قِيلَ لَوْهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ... فَذَكَرَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. مَعْنَاهَا - شُرُوطُهَا - نَوَاقِضُهَا - فَضْلُهَا». (مِنْ ص ٧٨-٩١).

حُسْنُ الْكَلَامِ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ «خَيْرَ الْأَلْسُنِ الْمَخْزُونُ، وَخَيْرَ الْكَلَامِ الْمَوْزُونُ، فَحَدَّثَ
إِنْ حَدَّثْتَ بِأَفْضَلِ مِنَ الصَّمْتِ، وَزَيَّنَ حَدِيثَكَ بِالْوَقَارِ وَحُسْنِ السَّمْتِ»^(١).

إِنَّ الطَّيِّشَ فِي الْكَلَامِ يُتْرَجُّمُ عَنْ خِفَّةِ الْأَحْلَامِ، وَمَا دَخَلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا
زَانَهُ، وَمَا زَانَ الْمُتَكَلِّمَ إِلَّا الرَّزَانَةُ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
الْكَلَامِ؛ إِلَّا كَلَامًا تَطَهَّرَ الْمَصْلَحَةُ فِيهِ، وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكُهُ فِي الْمَصْلَحَةِ؛
فَالسُّنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَنْجُرُّ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، بَلْ هَذَا
كَثِيرٌ، بَلْ هَذَا غَالِبٌ فِي الْعَادَةِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ»^(٢). (*)

(١) «أَطْوَأُقِ الذَّهَبِ فِي الْمَوَاعِظِ وَالْخُطَبِ» (ص ٢٨).

(٢) «الْأَذْكَارُ» (كِتَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، ص ٣٣٢، ط الْفِكْرِ)، وَ«رِيَاضُ الصَّالِحِينَ» (بَابُ
تَحْرِيمِ الْغَيْبَةِ، ص ٤٢٧، ط الرِّسَالَةِ).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «فَضْلُ الصَّمْتِ وَحِفْظُ اللِّسَانِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي

إِنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ الْعَفَّ.. الْكَلَامَ اللَّيِّنَ يَجْمَلُ مَعَ الْجَمِيعِ، يَجْمَلُ مَعَ الْأَهْلِ
وَالْأَصْدِقَاءِ وَعَمُومِ النَّاسِ إِلَّا مَا اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ وَأَمَرَتِ الشَّرِيعَةُ بِالْعِلْظَةِ مَعَهُ
وَالشَّدَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣)
[البقرة: ٨٣].

«وَاذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ عَهْدًا مُّؤَكَّدًا: بِأَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَحْسِنُوا لِلْوَالِدَيْنِ، وَلِلْأَقْرَبِينَ، وَلِلْأَوْلَادِ الَّذِينَ مَاتَ
أَبَاؤُهُمْ وَهُمْ دُونَ بُلُوغِ الْحُلُمِ، وَلِلْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَقُولُوا لِلنَّاسِ أَطِيبَ الْكَلَامِ، مَعَ
أَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، ثُمَّ أَعْرَضْتُمْ وَنَقَضْتُمْ الْعَهْدَ -إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ ثَبَتَ
عَلَيْهِ- وَأَنتُمْ مُسْتَمِرُّونَ فِي إِعْرَاضِكُمْ» (١).

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: وَأَنْ تَقُولُوا لِلنَّاسِ أَطِيبَ الْكَلَامِ.



(١) «التفسير الميسر» (ص: ١٢).

حُسْنُ الْكَلَامِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَهْلِ

عِبَادَ اللَّهِ! وَإِذَا كَانَ لِيَنَّ الْكَلَامِ يُطَلَّبُ مَعَ الْجَمِيعِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ بَابِ أَوْلَى
 مَعَ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ، وَمِنْ أَعْظَمِ هَؤُلَاءِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا:
 ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ
 أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
 وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾
 [الإسراء: ٢٣-٢٤].

«لَمَّا نَهَى -تَعَالَى- عَنِ الشِّرْكِ بِهِ أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ فَقَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴿قَضَاءً
 دِينِيًّا وَأَمْرًا شَرْعِيًّا﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا ﴿أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْأَحْيَاءِ
 وَالْأَمْوَاتِ﴾ إِلَّا إِيَّاهُ ﴿؛ لِأَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَهُ كُلُّ صِفَةِ كَمَالٍ،
 وَلَهُ مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ أَعْظَمُهَا عَلَىٰ وَجْهِ لَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْمُنْعَمُ
 بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الدَّفَاعُ لِجَمِيعِ النِّقَمِ، الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ
 الْأُمُورِ، فَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَغَيْرُهُ لَيْسَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ».

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ حَقِّهِ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْوَالِدَيْنِ فَقَالَ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أَيُّ:
 أَحْسِنُوا إِلَيْهِمَا بِجَمِيعِ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ الْقَوْلِيِّ وَالْفِعْلِيِّ؛ لِأَنَّهُمَا سَبَبُ وُجُودِ

الْعَبْدِ، وَلَهُمَا مِنَ الْمَحَبَّةِ لِلْوَلَدِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْقُرْبِ مَا يَقْتَضِي تَأَكُّدَ الْحَقِّ
وَوُجُوبَ الْبِرِّ.

﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أَي: إِذَا وَصَلَا إِلَى هَذَا
السِّنِّ الَّذِي تَضَعُ فِيهِ قُوَاهُمَا وَيَحْتَاجَانِ مِنَ اللَّطْفِ وَالْإِحْسَانِ مَا هُوَ
مَعْرُوفٌ ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا أَفِي﴾: وَهَذَا أَدْنَى مَرَاتِبِ الْأَذَى نَبَهَ بِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ،
وَالْمَعْنَى لَا تُؤْذِيهِمَا أَدْنَى أَذِيَّةٍ ﴿وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ أَي: تَزْجُرُهُمَا وَتَتَكَلَّمُ لَهُمَا
كَلَامًا خَشِنًا، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣): بِلَفْظٍ يُحِبِّانِهِ، وَتَأَدَّبَ وَتَلَطَّفَ
بِكَلَامٍ لَيِّنٍ حَسَنٍ يَلِدُّ عَلَى قُلُوبِهِمَا وَتَطْمَئِنُّ بِهِ نَفُوسُهُمَا، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ
بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَالْأَزْمَانِ.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أَي: تَوَاضَعْ لَهُمَا؛ ذُلًّا لَهُمَا،
وَرَحْمَةً، وَاحْتِسَابًا لِلْأَجْرِ، لَا لِأَجْلِ الْخَوْفِ مِنْهُمَا، أَوْ الرَّجَاءِ لِمَا لَهُمَا، وَنَحْوِ
ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الَّتِي لَا يُوجِرُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾ أَي: ادْعُ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا؛ جَزَاءً عَلَى
تَرْبِيَّتِهِمَا إِيَّاكَ صَغِيرًا.

وَفِهِمْ مِنْ هَذَا أَنَّهُ كَلَّمَا زِدَادَتِ التَّرْبِيَةِ زِدَادَ الْحَقِّ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَوَلَّى
تَرْبِيَةَ الْإِنْسَانِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ تَرْبِيَةً صَالِحَةً غَيْرَ الْأَبْوَيْنِ فَإِنَّ لَهُ عَلَى مَنْ
رَبَّاهُ حَقَّ التَّرْبِيَةِ» (١).

(١) «تفسير السعدي» (ص: ٥٣٠).

فَأَمَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِحُسْنِ الْكَلَامِ وَلِيْنِهِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣)، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمَّهُمَا﴾.

وَأَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِحُسْنِ الْكَلَامِ مَعَ الزَّوْجَةِ، وَمُجَانِبَةِ بَدَاءَةِ اللِّسَانِ مَعَهَا، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: هَذَا يَشْمَلُ الْمُعَاشِرَةَ الْقَوْلِيَّةَ وَالْفِعْلِيَّةَ، فَعَلَى الزَّوْجِ أَنْ يُعَاشِرَ زَوْجَتَهُ بِالْمَعْرُوفِ، مِنْ الصُّحْبَةِ الْجَمِيلَةِ، وَكَفِّ الْأَذَى وَبَذْلِ الْإِحْسَانِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ (١).

مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي أَوْسَاطِ بَعْضِ الْأُسْرِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ الْمُخَالَفَاتِ فِي تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي أُمِرْنَا بِهَا: بَدَاءَةُ اللِّسَانِ، وَتَقْبِيحُ الْمَرْأَةِ خِلْقَةً وَخُلُقًا، وَالتَّأْفُّفُ مِنْ أَهْلِهَا بِذِكْرِ نَقَائِصِهِمْ وَعُيُوبِهِمْ، مَعَ سَبِّهَا وَشْتَمِهَا، وَمُنَادَاتِهَا بِالْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ الْقَبِيحَةِ. وَمِنْ ذَلِكَ: إِظْهَارُ النُّفُورِ وَالِاشْتِمَازِ مِنْهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ -أَيْضًا-: تَجْرِيحُهَا بِذِكْرِ مَحَاسِنِ نِسَاءٍ أُخَرَ، وَأَنْهَنَّ أَجْمَلُ وَأَفْضَلُ، وَأَحْلَى وَأَكْمَلُ!! وَذَلِكَ يُكَدِّرُ خَاطِرَهَا فِي أَمْرِ لَيْسَ لَهَا فِيهِ يَدٌ.

وَمِنْ الْمُحَافَظَةِ عَلَى شُعُورِ الزَّوْجَةِ، وَمِنْ إِكْرَامِهَا: مُنَادَاتُهَا بِأَحَبِّ

(١) «تفسير السعدي» (ص: ١٨٤).

أَسْمَائِهَا إِلَيْهَا، وَإِلْقَاءِ السَّلَامِ عَلَيْهَا حِينَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ، وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهَا بِالْهَدِيَّةِ
وَالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرَّبِيعِيُّ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ
لِنِسَائِهِمْ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ. (*).



(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: (٤/٢٢٠، رَقْم ٤٦٨٢) مُخْتَصِرًا، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي
«الْجَامِعِ»: (٣/٤٥٧، رَقْم ١١٦٢) وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١/٥٧٣-٥٧٥، رَقْم ٢٨٤)، وَرَوَى
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَرْفُوعًا، بِنَحْوِهِ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُقُوقُ الزَّوْجَةِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٩ هـ | ٥ - ٩ -

التَّلَطُّفُ وَحُسْنُ الْكَلَامِ مَعَ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ

وَيَنْبَغِي التَّلَطُّفُ وَحُسْنُ الْكَلَامِ مَعَ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ الْمُتَكِسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنَ الضُّعْفَاءِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝۱﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝۱۰﴾ [الضحى: ٩-١٠].

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝۱﴾ أَي: لَا تَسِعْ مُعَامَلَةَ الْيَتِيمِ، وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ عَلَيْهِ، وَلَا تَنْهَرْهُ، بَلْ أَكْرِمْهُ، وَأَعْطِهِ مَا تَيْسَّرَ، وَاصْنَعْ بِهِ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُصْنَعَ بِوَلَدِكَ مِنْ بَعْدِكَ.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝۱۰﴾ أَي: لَا يَصْدُرْ مِنْكَ كَلَامٌ لِّلسَّائِلِ يَقْتَضِي رَدَّهُ عَن مَطْلُوبِهِ بِنَهْرٍ وَشِرَاسَةِ خُلُقٍ، بَلْ أَعْطِهِ مَا تَيْسَّرَ عِنْدَكَ أَوْ رَدَّهُ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانٍ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا السَّائِلِ لِلْمَالِ، وَالسَّائِلِ لِلْعِلْمِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْمُعَلِّمُ مَأْمُورًا بِحُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ الْمُتَعَلِّمِ، وَمُبَاشَرَتِهِ بِالْإِكْرَامِ وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مَعُونَةً لَهُ عَلَى مَقْصِدِهِ، وَإِكْرَامًا لِمَنْ كَانَ يَسْعَى فِي نَفْعِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝﴾ [النساء: ٥].

(١) «تفسير السعدي» (ص: ١٠٩٥-١٠٩٦).

«السُّفَهَاءُ: جَمْعُ (سَفِيهِ) وَهُوَ: مَنْ لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِي الْمَالِ؛ إِمَّا لِعَدَمِ عَقْلِهِ كَالْمَجْنُونِ وَالْمَعْتُوهِ، وَنَحْوِهِمَا، وَإِمَّا لِعَدَمِ رُشْدِهِ كَالصَّغِيرِ وَغَيْرِ الرَّشِيدِ.

فَنَهَى اللَّهُ الْأَوْلِيَاءَ أَنْ يُؤْتُوا هَؤُلَاءِ أَمْوَالَهُمْ خَشِيَةَ إِفْسَادِهَا وَإِتْلَافِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْأَمْوَالَ قِيَامًا لِعِبَادِهِ فِي مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَهَؤُلَاءِ لَا يُحْسِنُونَ الْقِيَامَ عَلَيْهَا وَحِفْظَهَا، فَأَمَرَ الْوَلِيَّ إِلَّا يُؤْتِيَهُمْ إِيَّاهَا، بَلْ يَرْزُقُهُمْ مِنْهَا وَيَكْسُوهُمْ، وَيَبْذُلُ مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِضُرُورَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ، وَأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا، بَأَنْ يَعِدُوهُمْ - إِذَا طَلَبُوهَا - أَنَّهُمْ سَيَدْفَعُونَهَا لَهُمْ بَعْدَ رُشْدِهِمْ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَيَلْطَفُوا لَهُمْ فِي الْأَقْوَالِ جَبْرًا لِحَوَاطِرِهِمْ»^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ

﴿٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣].

«ذَكَرَ اللَّهُ أَرْبَعَ مَرَاتِبَ لِلْإِحْسَانِ:

الْمُرْتَبَةُ الْعُلْيَا: النَّفَقَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ نِيَّةِ صَالِحَةٍ، وَلَمْ يَتْبَعْهَا الْمُنْفِقُ مَنًّا وَلَا أَذَىٰ.

ثُمَّ يَلِيهَا قَوْلُ الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ: الْإِحْسَانُ الْقَوْلِيُّ بِجَمِيعِ وُجُوهِهِ، الَّذِي فِيهِ سُرُورُ الْمُسْلِمِ، وَالِاعْتِدَارُ مِنَ السَّائِلِ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ عِنْدَهُ شَيْئًا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ أَقْوَالِ الْمَعْرُوفِ.

(١) «تفسير السعدي» (ص: ١٧٦).

وَالثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ بِالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

وَهَذَانِ أَفْضَلُ مِنَ الرَّابِعَةِ وَخَيْرٌ مِنْهَا وَهِيَ الَّتِي يُتَّبِعُهَا الْمُتَصَدِّقُ الْأَذَى لِلْمُعْطَى، لِأَنَّهُ كَدَّرَ إِحْسَانَهُ وَفَعَلَ خَيْرًا وَشَرًّا.

فَالْخَيْرُ الْمَحْضُ - وَإِنْ كَانَ مَفْضُولًا - خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي يُخَالِطُهُ شَرٌّ وَإِنْ كَانَ فَاضِلًا، وَفِي هَذَا التَّحْذِيرِ الْعَظِيمِ لِمَنْ يُؤْذِي مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ، كَمَا فَعَلَهُ أَهْلُ اللُّؤْمِ وَالْحُمَقِ وَالْجَهْلِ.

وَاللَّهُ - تَعَالَى - غَنِيٌّ عَنِ صَدَقَاتِهِمْ، وَعَنْ جَمِيعِ عِبَادِهِ، حَلِيمٌ مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ وَسَعَةِ عَطَايَاهُ، يَحْلُمُ عَنِ الْعَاصِينَ، وَلَا يُعَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَيُدْرُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ، وَهُمْ مُبَارِزُونَ لَهُ بِالْمَعَاصِي» (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا

﴿٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨].

«يَقُولُ - تَعَالَى ذِكْرُهُ -: وَإِنْ تَعْرِضْ - يَا مُحَمَّدٌ - عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ أَنْ تُؤْتِيَهُمْ حُقُوقَهُمْ إِذَا وَجَدْتَ إِلَيْهَا السَّبِيلَ بِوَجْهِكَ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاكَ مَا لَا تَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا حَيَاءً مِنْهُمْ وَرَحْمَةً لَهُمْ ﴿أَبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ يَقُولُ: انْتَظَرِ رِزْقَ تَنْتَظِرُهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، وَتَرْجُو تَيْسِيرَ اللَّهِ إِلَيْهِ لَكَ، فَلَا تُؤَيِّسُهُمْ، وَلَكِنْ قُلْ

(١) «تفسير السعدي» (ص: ١١٥).

لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا: يَقُولُ: وَلَكِنْ عِدُّهُمْ وَعَدًّا جَمِيلًا بِأَنْ تَقُولَ: سَيَرْزُقُ اللَّهُ فَأُعْطِيكُمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ اللَّيِّنِ غَيْرِ الْغَلِيظِ، كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-:

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١).

فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْحَاجَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يُتَلَطَّفَ بِهِمْ، وَأَلَّا يُذَلُّوا، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْسَنَ مَعَهُمُ الْكَلَامَ، وَأَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

﴿وَأَمَّا مَنْ سَأَلَكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ فَلَا تَنْهَرْهُ﴾ (٢).



(١) «تفسير الطبري» (١٤ / ٥٦٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٤ / ٤٩٠).

حُسْنُ الْكَلَامِ فِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

إِنَّ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ حُسْنَ الْكَلَامِ وَسَيِّدَ الْقَوْلِ مَعَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ: الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

يَدْعُو الْمُسْلِمُ إِلَى اللَّهِ بِمَا يَسْتَطِيعُ، وَبِالْحُسْنِ الَّتِي لَا أَحْسَنَ مِنْهَا: ﴿وَجَدِلْ لَهُم﴾: وَهَذَا هُوَ فِي الْمَقَامِ الْأَخِيرِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يُجَادِلُ إِنْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ فَهُوَ يُوعِظُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ الْحِكْمَةُ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَهِيَ السُّنَّةُ كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَبِالطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَوَضَعَ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُجَدِّيًا مُتَقَبَّلًا لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى بِأَدْيِ الرَّأْيِ، وَوَجَدْتَ الْخَيْرَ هُنَالِكَ، وَهَذَا مِنْ كَيْفِيَّةِ الدَّعْوَةِ، وَمِنْ مَعْرِفَةِ حَالِ الْمَدْعُوِّ -أَيْضًا-؛ فَسَتَجِدُ هُنَالِكَ عِلَاقَتَ الْخَيْرِ، وَتَجِدُ هُنَالِكَ مُتَّفِعِيًا مُتَّبِدًا مَقَازِيرَ الشَّرِّ، وَحِينَئِذٍ تُقْبَلُ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ؛ أَصَرَ الْمُعَانِدُ عَلَى الْجِدَالِ؛ فَلْيَكُنِ الْجِدَالُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: وَحَدَفَ الْمُفْضَلُ عَلَيْهِ لِلتَّعْمِيمِ، يَعْنِي:
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، لَا أَحْسَنَ مِنْهَا قَطُّ.

فَذَلِكَ سَبِيلُ نَبِيِّنا ﷺ (*).

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ
إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

«أَيُّ: بِرَحْمَةِ اللهِ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ أَنْ أَلَنْتَ لَهُمْ جَانِبَكَ،
وَخَفَضْتَ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَتَرَفَّقْتَ عَلَيْهِمْ، وَحَسَّنْتَ لَهُمْ خُلُقَكَ، فَاجْتَمَعُوا
عَلَيْكَ، وَأَحْبَبُوا، وَامْتَثَلُوا أَمْرَكَ.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ أَيُّ: سَيِّئَ الْخُلُقِ ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أَيُّ: قَاسِيَهُ، ﴿لَأَنْفَضُوا مِنْ
حَوْلِكَ﴾؛ لِأَنَّ هَذَا يُنْفِرُهُمْ وَيَبْغِضُهُمْ لِمَنْ قَامَ بِهِ هَذَا الْخُلُقُ السَّيِّئُ، فَالْأَخْلَاقُ
الْحَسَنَةُ مِنَ الْمُقَدَّمِ فِي الدِّينِ تَجْذِبُ النَّاسَ إِلَى دِينِ اللهِ، وَتُرْغِبُهُمْ فِيهِ، مَعَ مَا
لِصَاحِبِهِ مِنَ الْمَدْحِ وَالثَّوَابِ الْخَاصِّ، وَالْأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ مِنَ الْمُقَدَّمِ فِي الدِّينِ
تُنْفِرُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ، وَتَبْغِضُهُمْ إِلَيْهِ، مَعَ مَا لِصَاحِبِهَا مِنَ الدَّمِّ وَالْعِقَابِ
الْخَاصِّ، فَهَذَا الرَّسُولُ الْمَعْصُومُ يَقُولُ اللهُ لَهُ مَا يَقُولُ، فَكَيْفَ بغيرِهِ؟!

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ سَفِينَةُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩ هـ

أَلَيْسَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ وَأَهَمِّ الْمُهَمَّاتِ الْإِقْتِدَاءُ بِأَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ،
وَمُعَامَلَةُ النَّاسِ بِمَا يُعَامِلُهُمْ بِهِ ﷺ مِنَ اللَّيْنِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَالتَّأَلُفِ؛ امْتِثَالًا
لِأَمْرِ اللَّهِ، وَجَذْبًا لِعِبَادِ اللَّهِ لِدِينِ اللَّهِ.

ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِأَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّهِ
ﷺ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فِي التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ اللَّهِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ * أَي: الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِشَارَةِ وَنَظَرٍ وَفِكْرٍ؛ فَإِنَّ
فِي الْاسْتِشَارَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ مَا لَا يُمَكِّنُ حَصْرَهُ^(١).



(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٦٤).

مِنْ حُسْنِ الْكَلَامِ: مُجَانِبَةُ آفَاتِ اللِّسَانِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لَقَدْ جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ وَحَثَّتْ عَلَى اخْتِيَارِ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَأَمَرَتْ بِحُسْنِ الْكَلَامِ، وَنَهَتْ عَنِ الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فَمَنْ أَرَادَ امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ بِلُزُومِ حُسْنِ الْكَلَامِ، وَطَيْبِ الْقَوْلِ، وَسَدِيدِ الْمُنْطِقِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ فُحْشَ الْقَوْلِ، وَجَمِيعَ آفَاتِ اللِّسَانِ؛ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله و سلم قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِذِيءَ» (١). (*)

لُزُومُ حُسْنِ الْكَلَامِ يَفْتَضِي مُجَانِبَةَ آفَاتِ اللِّسَانِ، وَمِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، وَحَدَّرَ مِنْهَا رَسُولُهُ صلی الله علیه و آله و سلم: الْكِذْبُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله و سلم: «وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق، (٤٧٩٩)، والترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٢ و ٢٠٠٣). وفي رواية - عند الترمذي - زاد: «...، وإن الله ليُبغض الفاحش البذيء»، وفي أخرى له: «...، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة». قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وأقره ابن حجر في «فتح الباري»: (٤٥٨/١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٥٣٥/٢)، رقم (٨٧٦). (*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ سُؤَالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-

إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحِينَ» (١).

وَالْكَذِبُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ بَلْ هُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَوَعَّدَ الْكَذَّابَ بِأَنَّهُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا. (*).

وَمِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي حَرَّمَهَا دِينُ الْإِسْلَامِ: السَّبُّ، وَاللَّعْنُ، وَالْبَدَاءُ، وَالْهَجْرُ مِنَ الْقَوْلِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْتَبَانَ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا حَتَّى يَتَعَدَّى الْمَظْلُومُ» (٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (٤). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لِعَانًا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعِيسَى (٥).

إِنَّ مِنْ أخطرِ آفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي حَذَرَ مِنْهَا وَنَهَى عَنْهَا دِينُ الْإِسْلَامِ: الْغَيْبَةُ، وَهِيَ: ذِكْرُ الْعَيْبِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ؛ سَوَاءً أَكَانَ فِيهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٠٧)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٥ هـ | ١٤-٢-٢٠١٤ م.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٤/٢٠٠٠، رَقْم (٢٥٨٧).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ١/١١٠، رَقْم (٤٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١/٨١، رَقْم (٦٤).

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣/٢٠٠٥-٢٠٠٦، رَقْم (٢٥٩٧).

مَا تَقُولُ أَمْ لَمْ يَكُنْ.

فَهَكَذَا بَيَّنَّهَا الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ عَنِ الْغَيْبَةِ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

قِيلَ: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَحِي مَا أَقُولُ؟».

قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اخْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ».

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحُجْرَاتِ^(٢): «وَالْغَيْبَةُ مُحَرَّمَةٌ

بِالْإِجْمَاعِ، وَلَا يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا رَجَحَتْ مَصْلَحَتُهُ، كَمَا فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ،
وَالنَّصِيحَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ».

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ^(٣): «الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْهَا

إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -».

وَهَذَا بَيِّنٌ وَاضِحٌ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]. (*)



(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٤/٢٠٠١، رقم (٢٥٨٩).

(٢) «تفسیر القرآن العظیم»: ٧/٣٨٠.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن»: ١٦/٣٣٧.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةِ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْغَيْبَةُ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ جُمَادَى

الأولى ١٤٣٧هـ | ١٢-٢-٢٠١٦م.

ثَمَرَاتُ حُسْنِ الْكَلَامِ

إِنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ وَالْقَوْلَ اللَّيِّنَ لَهُ ثَمَارُهُ الطَّيِّبَةُ، وَظِلَالُهُ الْوَارِقَةُ، أَمَّا مَعَ الْأَصْدِقَاءِ فَإِنَّهُ تُسْتَدَامُ بِهِ الصَّدَاقَةُ، وَيُدْفَعُ بِهِ كَيْدُ الشَّيْطَانِ، وَأَمَّا مَعَ الْأَعْدَاءِ فَإِنَّهُ يُطْفِئُ نَارَ الْعَدَاوَةِ، وَيَكْسِرُ حَدَّتَهَا، وَمَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ؛ فَالنَّاسُ يُحِبُّونَ وَيَمِيلُونَ إِلَى مَنْ يَتَلَطَّفُ بِهِمْ بِالْقَوْلِ، وَيَنْفِرُونَ غَايَةَ النُّفُورِ مِمَّنْ يَخَاشِنُهُمْ فِي الْكَلَامِ، وَيَزْجُرُهُمْ فِي الْمَخَاطَبَةِ، قَالَ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) [فصلت: ٣٤].

«ادْفَعْ بِعَفْوِكَ وَحِلْمِكَ وَإِحْسَانِكَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَقَابِلِ إِسَاءَتَهُ لَكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَبِذَلِكَ يَصِيرُ الْمُسِيءُ إِلَيْكَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ قَرِيبٌ لَكَ شَفِيقٌ عَلَيْكَ» (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١٦)

[المؤمنون: ٩٦].

«إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَعْدَاؤُكَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ فَلَا تُقَابِلَهُمْ

(١) «التفسير الميسر» (ص: ٤٨٠).

بِالْإِسَاءَةِ، وَلَكِنْ اذْفَعِ إِسَاءَتَهُمْ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ إِلَيْهِمْ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الشَّرِكِ وَالتَّكْذِيبِ، وَسَنَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ أَسْوَأَ الْجَزَاءِ» (١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

«وَقُلْ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُوا فِي تَخَاطُبِهِمْ وَتَحَاوُرِهِمُ الْكَلَامَ الْحَسَنَ الطَّيِّبَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْفَسَادَ وَالْخِصَامَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا ظَاهِرَ الْعَدَاوَةِ» (٢).

قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٣): «إِذَا حَسُنَتْ أَخْلَاقُ الإِنْسَانِ كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ، فَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الأُمُورُ الصَّعَابُ، وَلَا نَتُّ لَهُ القُلُوبُ الغِضَابُ». (*).

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْكَلَامِ الْحَسَنِ الطَّيِّبِ: الْفَلَاحُ وَالسَّعَادَةُ دُنْيَا وَآخِرَةً؛ فَقَدْ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُغْرَضِينَ عَنِ الْبَاطِلِ وَهُوَ يَشْمَلُ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ وَمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ مِنَ الأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.. وَعَدَهُمُ اللهُ بِالْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١-٣].

(١) «التفسير الميسر» (ص: ٣٤٨).

(٢) «التفسير الميسر» (ص: ٢٨٧).

(٣) «أدب الدنيا والدين»: (ص ٢٤٣).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاصِرَةِ: «حُسْنُ الخُلُقِ ٢» - الأحد ٢٩ مِنْ شَوَّالِ ١٤٣٨ هـ | ٢٣-٧-

«هَذَا تَنْوِيهٌ مِنَ اللَّهِ بِذِكْرِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذِكْرٍ فَلَا حِيَمَ وَسَعَادَتِهِمْ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ وَصَلُوا إِلَى ذَلِكَ، وَفِي ضَمْنِ ذَلِكَ الْحَثُّ عَلَى الْإِتِّصَافِ بِصِفَاتِهِمْ، وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا؛ فَلْيَزِنِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ يَعْرِفُ بِذَلِكَ مَا مَعَهُ وَمَا مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْإِيمَانِ؛ زِيَادَةً وَنَقْصًا، كَثْرَةً وَقَلَّةً.

فَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ أَي: قَدْ فَازُوا وَسَعِدُوا وَنَجَحُوا، وَأَدْرَكُوا كُلَّ مَا يَرَامُ، الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمْ الْكَامِلَةِ أَنَّهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ: وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ -تَعَالَى-، مُسْتَحْضِرًا لِقُرْبِهِ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ قَلْبُهُ، وَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ، وَتَسْكُنُ حَرَكَاتُهُ، وَيَقِلُّ التَّفَاتُهُ، مُتَادِبًا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ، مُسْتَحْضِرًا جَمِيعَ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ فِي صَلَاتِهِ، مِنْ أَوَّلِ صَلَاتِهِ إِلَى آخِرِهَا، فَتَنْتَفِي بِذَلِكَ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ الرَّدِيئَةُ، وَهَذَا رُوحُ الصَّلَاةِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا، وَهُوَ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ، فَالصَّلَاةُ الَّتِي لَا خُشُوعَ فِيهَا وَلَا حُضُورَ قَلْبٍ -وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِيَةً مَثَابًا عَلَيْهَا- فَإِنَّ الثَّوَابَ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْقِلُ الْقَلْبُ مِنْهَا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾: وَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا فَائِدَةَ **﴿مُعْرِضُونَ﴾**؛ رَغْبَةً عَنْهُ، وَتَنْزِيهًا لِأَنْفُسِهِمْ وَتَرْفَعًا عَنْهُ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا، وَإِذَا كَانُوا مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّغْوِ فَأِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْمُحَرَّمِ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى، وَإِذَا مَلَكَ الْعَبْدُ لِسَانَهُ وَخَزَنَهُ -إِلَّا فِي الْخَيْرِ- كَانَ مَالِكًا لِأَمْرِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ وَصَّاهُ بِوَصَايَا قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»، قُلْتُ: «بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فَأَخَذَ بِلِسَانِ

نَفْسِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»^(١)، فَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْحَمِيدَةَ كَفُّ
الْسِنْتِهِمْ عَنِ اللَّغْوِ وَالْمُحَرَّمَاتِ^(٢).

وَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ - وَهِيَ سِلْعَتُهُ الْعَالِيَةُ جَلَّ وَعَلَا - ثَمَرَةً لِمَنْ أَلَانَ
الْكَلَامَ وَحَسَنَهُ، قَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا،
وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى
بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٣).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ هَانِيءِ بْنِ يَزِيدَ
رضي الله عنه قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِأَيِّ شَيْءٍ يُوجِبُ لِي الْجَنَّةَ».

قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْكَلَامِ، وَبَذْلِ الطَّعَامِ»^(٤).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ: «عَلَيْكَ بِطَيِّبِ الْكَلَامِ، وَبَذْلِ السَّلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ»^(*).



(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تفسير السعدي» (ص: ٦٤٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةِ: «فَضْلُ الصَّمْتِ وَحِفْظُ اللِّسَانِ» - الْجُمُعَةِ ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي

١٤٣٧ هـ الْمُوَافِقِ ٥-٢-٢٠١٦ م.



عِبَادَ اللهِ! عَلَيْنَا أَنْ نَحْفَظَ أَلْسِنَتَنَا؛ لِنَحْفَظَ طَاقَةَ عُقُولِنَا، وَصَفَاءَ أَذْهَانِنَا؛
وَلِنُفْرَغَ لِدِكْرِ رَبِّنَا، وَعِبَادَةِ إِلَهِنَا؛ وَلِكَيْ يَنْقَطِعَ ذَلِكَ السَّيْلُ الْهَادِرُ الْجَارِفُ، مِمَّا
يُمَزِّقُ الْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةَ، وَيُنْشِئُ الْعَدَاوَاتِ الْأَثِيمَةَ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ؛
مِنَ الْغَيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْبُهْتَانِ، وَالرِّيْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ.

رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَالَ خَيْرًا فَسَلِمَ، أَوْ صَمَتَ فَغَنِمَ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

نَسْأَلُ اللهُ أَلَّا يُنْطِقَنَا إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَأَنْ يَكْفَّ أَلْسِنَتَنَا عَنِ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «فَضْلُ الصَّمْتِ وَحِفْظُ اللِّسَانِ» - الْجُمُعَةِ ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي

الفهرس

٣ مُقَدِّمَةٌ
٤ شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ
٨ أَلْفَاظُ الْعِبَادِ مُحْصَاةٌ عَلَيْهِمْ
١١ اللِّسَانُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ
١٣ حِفْظُ اللِّسَانِ
٣٠ شُرُوطُ الْكَلَامِ
٣٢ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ
٣٧ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا!
٥٠ أَحْسَنُ الْكَلَامِ ذِكْرُ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ
٥٢ أَحْسَنُ الْكَلَامِ وَالذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٥٩ حُسْنُ الْكَلَامِ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ
٦١ حُسْنُ الْكَلَامِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَهْلِ

- ٦٥ التَّلَطُّفُ وَحُسْنُ الْكَلَامِ مَعَ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ
- ٦٩ حُسْنُ الْكَلَامِ فِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ
- ٧٢ مِنْ حُسْنِ الْكَلَامِ: مُجَانِبَةُ أَفَاتِ اللُّسَانِ
- ٧٥ ثَمَرَاتُ حُسْنِ الْكَلَامِ
- ٧٩ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَالَ خَيْرًا فَسَلِمَ أَوْ صَمَتَ فَعَنِمَ!
- ٨١ الْفَهْرُسُ

